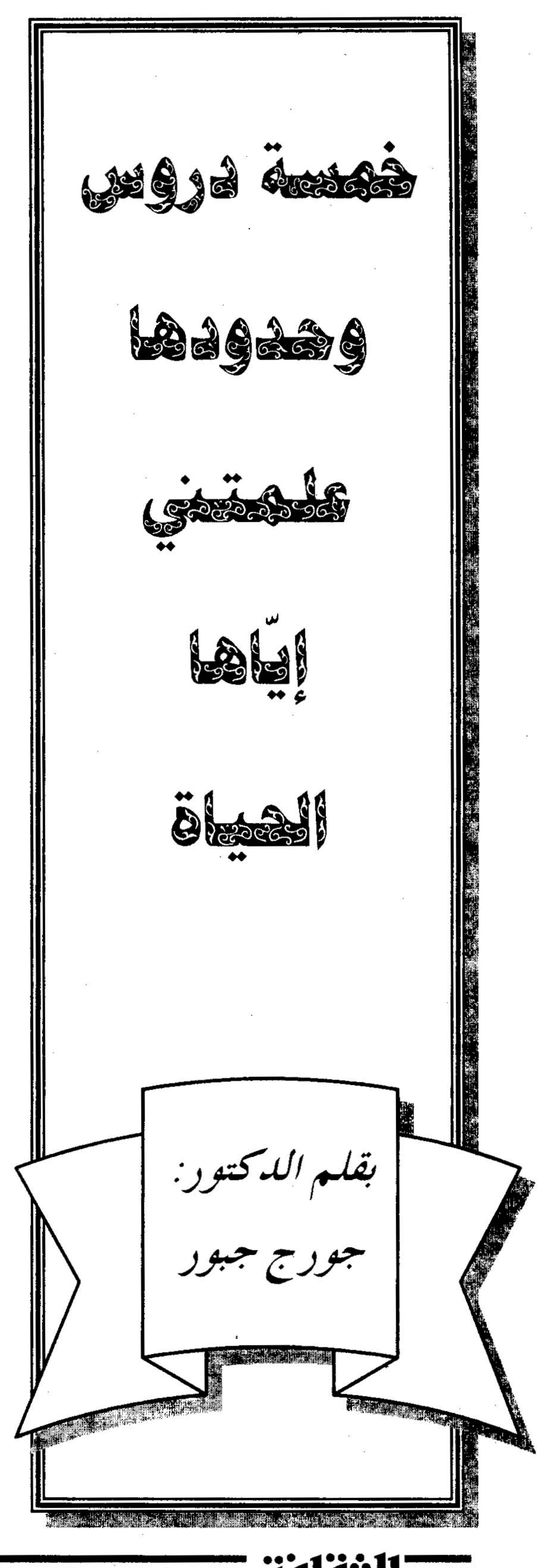


لا حصر للدروس التي تعلّمنا إيّاها الحياة. بل لعلّ من الممكن القول أن كل ما يقوم به الإنسان في الحياة في طيّاته دروساً قد يتم التنبه إليه وقد لا يتم. وقديماً قال الإمام عليّ: (ما أكثر العبر وأقل الاعتبار).

منذ بداية وعيي للشؤون العامة في سورية والوطن العربي، وأنا أطالب ممارسي هذه الشؤون بأن يدوّنوا مذكراتهم. ففي المذكرات إضاءات على أحداث تعطي لتلك الأحداث أبعاداً قد تكون مفيدة في تفهمها، بدءاً من أسبابها وانتهاءً بنتائجها.

إلاّ أن التنظير شيء والتطبيق شيءٌ آخر. منذ تقاعدت في ١٩٩٨/١٢/٢٨ وأنا أحاول إقناع نفسي بكتابة مذكراتي، وربما تحت عنوانٍ كالذي سئلت الكتابة فيه: (هكذا علّمتني الحياة).

وتتراكم ظروف ترجح جانب الإحجام، فيزداد توغّلي في عقدي السابع دون أن أبدأ. أبرر لنفسي الإحجام بالقول: ومن أنا لأكتب مذكراتي؟ ثم أتيقظ إلى مطالبتي غيرَي بأن يكتب حتى لو ضؤل دوره العام، فأخشى أن أعدُّ واحداً ممن قصدتهم الآية الكريمة: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

ثم ها هي، تأتيك إلى منزلك، دعوةٌ حلوةٌ خفيفة الظل، تسألك أن تحدث الناس، باختصار، عمّا علمتك إياه الحياة. كيف لا تستجيب؟

وسريعاً ما استقرّ رأيي على خطةٍ وجدتها معقولة. أقدم درسين علمني إياهما والداي، وما أكثر ما علماني، رحمهما

الله. ثـم أقدم ثلاثة دروس مستمدة من الألقاب الـثلاثة العزيـزة علـى والتي وضعتها تحت اسمي.

<u>الـدرس الأول مـن الـسيدة الوالدة:</u>

<u>لا تذم أحداً.</u>

طفـلاً كـنت أشـعر بالاطمئـنان في جـوار الأم، وتـزورها صـديقاتها. تـتحدث الـواحدة مـنهن عـن خبراتٍ سلبيةٍ مع هذه أو تلـك مـن النـساء، ومـع هـذا أو ذاك مـن الـرجال. ثم تنهي حديثها بطلب موافقة الـسيدة الـوالدة علـى ما قالت فلا تستجيب. لـم أسمعها يوماً تمنح تأكيداً على ذم شخص ذُمَّ أمامها.

درسـها: إن تحدّثت عن أحدٍ فامدحه بما هو حق فإذا شابته نواقصٌ فلا تذكرها. في كـل حال لا تذم أحداً. أما حديث الذم فاسمعه. واصـمت ولا تـنقله. وإن استطعت أن تقطعه بأدبٍ فافعل.

كـنت أحـتج على هذا الأسلوب باسم الحق في معرفة الحقائق، وباسم فائدة تداولها. حتـى فاجأنـي ذات يوم، وكنت في أوائل بيت شعر لبهاء زهير، فإذا بي أتحمّس لذلك الدرس الذي لقنته صغيراً. يقول البهاء:

إن الكـرام إذا صحبتهمـو

ستروا القبيح وأظهروا الحسنا

ثـم أسمع أحياناً أحاديث فساد فأتنبه إلـى حـدود الـدرس: لا صمت عن ذمٍّ محقّ يخـص الـشأن العـام. رحمك الله يا أستاذتي الأولى والأكبر.

<u>الـدرس الثانـي مـن الـسيد الوالد:</u>

<u>لا تصطدم بسلطةٍ غاشمة.</u>

ذات يـوم قبـيل منتصف الخمسينات لاحـظ السيد الوالد رحمه الله أنني أبتاع عدداً كبيراً من الجرائد والمجلات السياسية، فانتحى بـي جانـباً وسـألني: "أتحب السياسة؟" قلت: "نعم". قال: "ممارستها أشرف ما يمكن للإنسان أن يمـارس. لكن فاحذر! ملأى بالمخاطر هي فـلا تـبالغ في الاندفاع. واحذر! لا تقم بما قد يـؤدي بـك إلى السجن. إنه أكره مكان على سطح المعمور.

خبرته بضعة أسابيع أوائل الأربعينيات حـين كـنت مديراً للبريد والبرق والهاتف في مديـنة اللاذقية. واعتقلني المستشار الفرنسي ونفـى عمك أديب إلى كسب، ولم يتم الإفراج عنا إلاَّ بعد توسط البطريرك عريضة، بطريرك المـوارنة. الـسبب: سـألني المستشار، أثناء زيـارةٍ لـه إلى منزلي، أن أؤيد إجراءات يود إعلانهـا في اليوم التالي. لم أعده بشيْ. ثم لم أظهـر فـي اليوم التالي تأييداً لتلك الإجراءات التـي تتنافـى مـع مـا فيه مصلحة الوحدة السورية، فكان الاعتقال. السياسة قلب يا بني. لا تبالغ في الاندفاع، واحذر من السجن. تمسك بآرائك ولا تصطدم بسلطةٍ غاشمة.

لـم أناقشه آنذاك، وتحضرني نصيحته كلمـا وجدت نفسي في شدة، وإن كنت أتساءل بين وقتٍ وآخر، وربما دائماً: "متى يكون مبدأ عـدم اصطدامك بسلطةٍ غاشمة مساوياً لخيانة المبدأ السياسي الذي تعتنق؟" في صف الفلسفة ذات يـوم، دلّـنا أستاذنا الدكتور عادل العوا،

رحمه الله، على أعماق حكمةٍ سياسية قال بها المعتزلة، مفكروا الإسلام الكبار: "لا يجوز الخروج (ضد الحاكم) إلاّ على ظن الغلبة". أتذكر نصيحة السيد الوالد فأزداد اطمئناناً إليها. إلاّ أن التساؤل ما ينفك يراودني فيؤرّقني: "متى يكون مبدأ عدم اصطدامك بسلطة غاشمة مساوياً لخيانة المبدأ السياسي الذي تعتنق؟" أتقنت الدرس ووقفت عند حدوده، ورحم الله السيد الوالد، أستاذي الأول والأكبر.

<u>الدرس الثالث في مجلس الشعب:</u>

<u>هل الصمت حكمة؟</u>

اتصل بي ذات يوم أوائل عام ١٩٦٦ الصديق الرفيق الأستاذ نزار قولي رحمه الله، أمين فرع دمشق لحزب البعث آنذاك. وبشرني بأنني سأسمّى عضواً في المجلس الوطني للثورة، وكان أشبه بمجلس الشعب. صدر مرسوم بتسمية الأعضاء ولم يسمّى اسمي بينها. عاش المجلس أقل من عشرة أيام، ومرّت عوام.

إلاّ أن السيد الرئيس حافظ الأسد رحمه الله، كان متحمساً لفكرة إنشاء مجلس تشريعي. وهكذا فبعد أشهر من الحركة التصحيحية شكل مجلس شعب مهمته وضع دستور دائم. لم أكن في عداد أعضائه، لكنني مارست أثراً في واحدة من أهم مواد الدستور (جبور،الحياة الحزبية في سورية ومستقبلها، دمشق ٢٠٠٤ هامش /١/ في ص /٢١/).

في عام ١٩٧٣ دخلت الحياة التشريعية في سورية مرحلة جديدة إذ أصبح مجلس الشعب منتخباً. تابعت كل انتخابات تشريعية جرت منذئذ، ورشحت نفسي لعضوية المجلس عام ١٩٩٤، فلم يتم اختياري على قائمة الجبهة.

في عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ ألقيت عدداً من المحاضرات عن مهام مجلس الشعب ولا سيما في مجال حقوق الإنسان. ثم رشحت نفسي لانتخابات الدور التشريعي الثامن. وسررت حين أبلغ رسمياً في ٢٠٠٣/٢/١٩ بأن الحزب اختارني عن محافظة طرطوس، رغم أنني مقيم في دمشق منذ أن انتقل عمل السيد الوالد إليها عام ١٩٥٠ بدءاً من يوم أداء القسم في ٢٠٠٣/٣/٩ أخذت أتحدث مع الزملاء أعضاء المجلس في موضوع عزيز عليّ هو ضرورة إنشاء لجنة دائمة في مجلس الشعب يكون اسمها مطابقاً لعنوان الفصل الرابع من الباب الأول من الدستور السوري: الحريات والحقوق والواجبات العامة. أما مهمتها فهي مراقبة تطبيق السلطة التنفيذية ذلك الفصل.

التجاوب معقول، إلاّ أن البعض يرى أن علينا تحيُّن (اللحظة التاريخية المؤاتية!).

وفي عديدٍ من مداخلاتي في مجلس الشعب أشرت إلى ضرورة إنشاء لجنة الحريات والحقوق والواجبات العامة. ثم، وبمناسبة ذكرى ثورة آذار عام ٢٠٠٤ سألتني جريدة الثورة الإسهام بمقال، فاخترت الكتابة عن الاقتراح عينه. ظهر المقال في ١٤/٣/

٢٠٠٤ ولقيت فكرته ترحيب عددٍ من الزملاء. إلاَّ أن الرأي الذي ساد في أوساط غالبية من فاتحتهم بالموضوع من الزملاء، هو أن علينا تحيُّن (اللحظة التاريخية المؤاتية!).

انتهت القصة فما الدرس المستخلص منها؟ لعله: الصمت حكمة. وأفضلُ منه نقيضه: الاقتراح مفيد ولا بد من المتابعة. هل لدى الزملاء المشاركين في هذا الكتاب آراء في هذا الموضوع يودون التعبير عنها، أم أن الصمت حكمة؟

الدرس الرابع من نظامنا في التعليم العالي: كيف نستطيع التقدّم إن أهملنا الاستفادة من أوائل خرّيجينا؟

في عام ١٩٦١ أوفدتني كلية آداب جامعة دمشق إلى أمريكا لأعود عضواً في هيئتها التدريسية جاء الإيفاد بناءً على حيازتي الدرجة الأولى بين خرّيجي قسم الفلسفة للأعوام الدراسية ١٩٥٦ - ١٩٦٠ واستطراداً: تخرّجت أيضاً عام ١٩٦٠ من كلية الحقوق وكان ترتيبي الخامس، وأصرّ الأستاذ الدكتور حكمة هاشم، رحمه الله، مدير جامعة دمشق آنذاك (في عهد الوحدة تم تعديل لقب رئيس الجامعة فأصبح مديراً) أصرّ على تسليمي شهادتَي الحقوق والآداب معاً في حفل التخرّج الذي جرى يوم ١٩٦١/٢/١٨. وفي كلمة ألقاها لحظة تسليمي الشهادتين، صرّح علناً أمام الحفل بأنها المرة الأولى في تاريخ جامعة دمشق التي يتسلّم فيها أيٌّ من خرّيجي الجامعة شهادتين معاً، حازهما في أدنى مدة الدراسة.

ثم لسببٍ سياسي أنهى حكم الانفصال إيفادي أواخر عام ١٩٦٢، بعد لقاء عاصف مع سفير حكومة الانفصال في واشنطن، قبيل عقد المؤتمر العام لمنظمة الطلبة العرب في أمريكا، (ايست لانسنغ، ميشيغان،آب ١٩٦٢).

ثم لم أستطع العودة إلى الجامعة عضواً في هيئتها التدريسية نظراً لعدم مطابقة اختصاص الإجازة (فلسفة وحقوق) مع اختصاص الدكتوراه (علوم سياسية) وكان عليّ أن أرضى بالتدريس من خارج الملاك في جامعتي دمشق وحلب. وأحافظ، منذ بدء الدراسات العليا في كلية الحقوق جامعة حلب، عام ١٩٩٠، على إعطاء مقرر لطلاب دبلومي القانون الدولي والقانون العام. ويسرّني أن اسم المقرر الذي أعطيه هو: المذاهب السياسية. من اسمه يتضح أنه يجمع الفلسفة والحقوق والعلوم السياسية معاً. فيا لطرافة التفكير العلمي في نظام تعليمنا العالي!

في القصص التي أعرفها عن التعليم العالي في سورية ثمة ألف درس ودرس. أهمها: فلنتعهد بالعناية أوائل خريجينا. إنهم طريقنا إلى التقدم. أنظر فأرى بعض أواخر الخريجين وقد أصبحوا ليس من حملة الدكتوراه فحسب، بل من ما نحيها أيضاً، فأشعر بالخوف. من يغفر لنا من خطايانا في التعليم العالي ما تقدم منها وما تأخر؟

الدرس الخامس من الرابطة السورية للأمم المتحدة: من صبرَ ظفرَ إن أعطيَ عمرا.

في عام ١٩٧٢ رفعت إلى السيد رئيس الجمهورية، اقتراحاً بإنشاء رابطة سورية للأمم المتحدة، لتكون منظمة غير حكومية، تتواصل مع الأمم المتحدة، ومع مثيلاتها في دول العالم، حيث ثمة اتحاد لروابط الأمم المتحدة يضم أكثر من مائة منها. شكل السيد الرئيس لجنة من السيد محمود الأيوبي، وهو آنذاك نائب رئيس الجمهورية، ومني. وضعنا معاً صيغة تنفيذية ممتازة، وطال انتظار الموافقة حتى أفل الأمل.

وتابعة. تابعت بكل ما أملك من وسائل:

٢٠٠٣/٣/٢٥ آثرت الأمر مع السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية الذي استمع وناقش بكل حرصٍ ودقة.

٢٠٠٤/٣/١٥ أعلمني صديق من وزارة الخارجية أن الوزير الشرع وافق على إنشاء الرابطة وأنني سأبلغ الموافقة قريباً. وحصل.

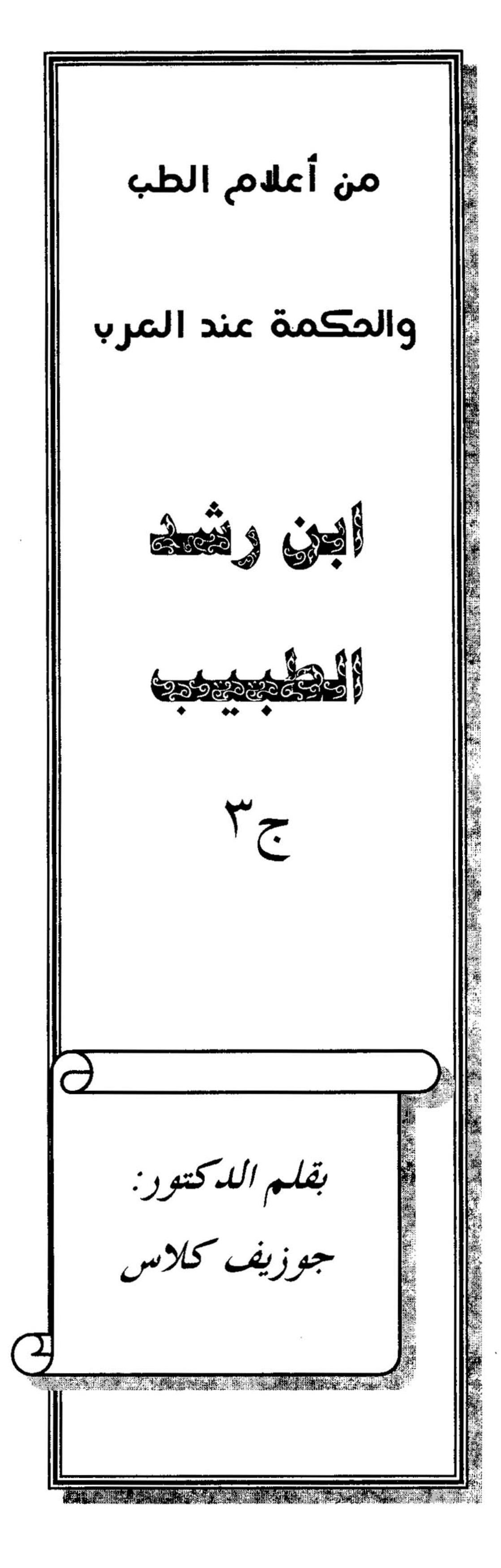
٢٠٠٤/١٠/٢٤ ألقيت كلمة في حفل أقامه مكتب الأمم المتحدة في دمشق بمناسبة يوم الأمم المتحدة. كان من المفترض أن تكون كلمتي باسم الرابطة إلاَّ أن الوزير الشرع رأى أن تكون باسمي الشخصي. نظراً - كما نقل لي عن لسانه - لموقف أمين عام الأمم المتحدة السلبي بشأن كيفية تنفيذ القرار /١٥٥٩/ في صحف اليوم التالي لم تكن ثمة أية إشارة إلى كلمتي التي طالبت فيها بحشد الجهود من أجل الاحتفال بالذكرى الستين لإنشاء الأمم المتحدة، أملاً في دعم مسيرتها، تلك المسيرة التي تهددها الأحادية القطبية.

الدرس: من صبرَ ظفرَ. ولكن هل تم الظفر؟ ما أزال، والزملاء الكرام في الهيئة التأسيسية، بانتظار الإشهار وقد طال.

درس ثانٍ: لماذا لا نسهّل إنشاء منظمات غير حكومية يزداد إيماننا بأنها مفيدة؟

يسرّني إخباركم أني ساهمت وأنا أخط هذه الأسطر، في ورشة عمل عن المنظمات الأهلية في سورية دعتني إليها الدكتورة ديالا الحاج عارف، عقدت يومي ٩ و ٢/١٠/ ٢٠٠٥ كانت العربية المصرية الدكتورة أماني قنديل، طالبتي في معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة عام ١٩٧٥ النجمة الثانية المتألقة في الندوة. أما نجمة التألق الأولى فكانت لا ريب وزيرة العمل التي تطبق الدرس الثاني المشار إليه آنفاً حتى قبل أن تقرأه. بوركت يا دكتورة ديالا.

وختام الدرسين دعوة: لا أدري من سيقرأ الكتاب الذي أخط له هذه الصفحات. لكنني متأكد أن المساهمين فيه سيهتمون به. يسرني أن أوجه الدعوة إليهم، على نحو خاص، لكي ينضموا إلى الرابطة حين تشهر، ولكي يساعدوا قبل إشهارها في التسريع بتلك العملية، كل بحسب ما يستطيع، وكل منهم صاحب باع. ثم فلنعمل معاً لكي تصبح الأمم المتحدة، بحق، برلماناً للشعوب يوقف هيمنة الأحادية القطبية.



تكلم غير واحد من مترجمي ابن رشد عن علومه ومشاركاته فقالوا أنه كان طبيباً فقيهاً يرحل إلى فتواه في الطب كما يرحل إلى فتواه في أحكام الشريعة، وقد كان عمله في القضاء مقترناً بعمله في الطب عن أمراء الموحدين، ولم تكن الفلسفة ولا شك تستغرق كل وقته، ولكنها كانت غالبة على تفكيره ملموسة في كثير من آرائه الطبية، وربما كانت آراء أرسطو حيث عرض للكلام عن القلب والدماغ وعلاقتهما بالنفس الحية والعقل المجرد، أرجح عنده من كلام جالينوس، مع إحاطته بكل ما وصل إلى الأندلس باللغة العربية من كلام هذا الطبيب العظيم.

ومن أمثلة ذلك رأيه في مصدر الحركة من جسم الإنسان، فهو خلاصة مذهب أرسطو في وجود الله ووجود العالم، إذ كان أرسطو يقول عن الله أنه (المحرك الأول) وإن حركة المادة لابد أن تأتي من شيء غير مادي لا يتحرك، وإلاَّ لزمت نسبة الحركة إلى مادة بعد مادة، والعقل لا يستقر إلى الدور والتسلسل في الأسباب الماضية.

وابن رشد يقول عن مصدر حركة الجسم في الصفحات الأولى من كتاب (الكليات): تبين في العلم الطبيعي أن كل متحرك له محرك، وإن المحرك إذا كان جسماً فإنه إنما يحرّك بأن يتحرك، لذلك يحتاج المحرك إذا كان جسماً إلى محرك آخر، فإن كان هذا أيضاً جسماً مرّ الأمر إلى غير نهاية، أو يكون ها هنا محرك يحرك لا بأن يتحرك، وذلك بألاَّ يكون جسماً، فهذا أحد ما يظهر منه

أن المحرك الأقصى للحيوان في هذه الحركات ليس بجسم أصلاً، أنه قوة نفسانية.. وأن يكون المتحرك عنه كالهيولى له، وهو له كالصورة، وإذا كان ذلك كذلك، فلننظر أي جسم هو ذلك الجسم، وهو ظاهر أنه الحرارة الغريزية التي في أبدان الحيوان، ولذلك متى بردت الأعضاء بطلت حركاتها. ومما قيل في العلم الطبيعي، أن أحد ما يؤخذ في حد هذه الحركات هي الحرارة الغريزية، وبخاصة أفعال الغذاء، وهذا مما لا خلاف فيه.

ولكن جالينوس يرى أن ينبوع هذه الحرارة هو الدماغ، وأنها تبث منه في الأعصاب إلى جميع البدن. وأما أرسطو فيرى أن الدماغ خادم في هذا الفعل للقلب.. وإن هذه الحرارة ينبوعها القلب.. ولذلك، متى طرأ على الإنسان شيء يفزعه، وانقبضت الحرارة الغريزية إلى القلب، ارتعشت ساقاه حتى أنه ربما سقط ولم يقدر على الحركة. وإذا كان ذلك كذلك فالقوة المدبرة الأولى في هذه الحركة، هي في القلب ضرورة.

وإن ابن رشد، مع إنصافه في عرض الآراء، يبدو محرجاً لرأي أستاذه الفلسفي، على رأي أستاذه الطبي. ولم يكن في طبه ناقلاً، مكتفياً بالنقل، بل كان يضيف إلى الآراء والصفات المنقولة، شيئاً من تجاربه سواءً فيما يرجع إلى فهم العلة أو إلى وصف العلاج. ومن ذلك أنه يقابل تمثيل بقراط وجالينوس للإقليم المعتدل بوطنهما اليونان، فيجعل الأندلس مثلاً لاعتدال الإقليم، ويتصرف في الحكم بما يرجحه حيث تتعارض الآراء.

ونحن هنا ننقل من كلامه في الطب نموذجاً لتأليفه، ونموذجاً لشرحه، فمن نماذج تأليفه ما ننقله من كتاب (الكليات). ومن نماذج شرحه ما ننقله من تفسيره لأرجوزة ابن سينا في الطب.

صناعة الطب

قال ابن رشد في مقدمة كتابه (الكليات)، يعرّف صناعة الطب:

"... إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة، عن مبادئ صادقة، يلتمس بها حفظ بدن الإنسان، وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان، والصنائع الفاعلة، تشتمل على ثلاثة أشياء: أحدها معرفة موضوعاتها، والثاني معرفة الغايات المطلوب تحصيلها في تلك الموضوعات، والثالث معرفة الآلات التي تحصل بها تلك الغايات. وإذا كان ذلك كذلك، فبإطرار ما، انقسمت هذه الصناعة إلى سبعة أجزاء عظمى:

الجزء الأول: يذكر في أعضاء الإنسان التي شوهدت بالحس، البسيطة والمركبة.

الجزء الثاني، تعرّف فيه الصحة وأنواعها ولواحقها.

الجزء الثالث: المرض وأنواعه وأعراضه.

الجزء الرابع: العلامات الصحية والعلامات المرضية.

الجزء الخامس: الآلات وهي الأغذية والأدوية.

الجزء السادس: الوجه في حفظ الصحة.

الجزء السابع: الحيلة في إزالة المرض.

ثم أشار ابن رشد إلى الصناعات التي تتسلم عنها صناعة الطب كثيراً من مبادئها فقال: "إن هذه الصنائع بعضها نظرية وهي العلم الطبيعي، وبعضها عملية، وهذه منها صناعة الطب التجريبية، ومنها صناعة التشريح.

فأما العلم الطبيعي، فإنه تتسلم منه كثيراً من أسباب الصحة والمرض، ولا سيما الأسباب القديمة، كالاستقسات (العناصر) وغيرها.

وأما صناعة الطب التجريبية، فإنه يستفيد منها معرفة قوى أكثر الأدوية.

وأما صناعة التشريح، فإنها تتسلم منها كثيراً من أجزاء موضوعاتها..

وينبغي أن تعلم أن صاحب علم الطبيعي يشارك الطبيب. إذ كان بدن الإنسان أحد أجزاء موضوعات صاحب علم الطباع. لكن يفترقان بأن هذا ينظر في الصحة والمرض من حيث هي أحد الموجودات الطبيعة، وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وإزالة هذا، ولذلك يحتاج الطبيب بعد معرفة الكليات التي تحتوي عليها هذه الصناعة، إلى طول مزاولة، وحينئذ يمكن أن يوجدها في المواد، فإن الكليلت المكتوبة في هذه الصناعة، يلحقها عند إيجادها في المواد أعراض ليس يمكن أن تكتب. فإذا زاول الإنسان أعمال هذه الصناعة حصلت له مقدمات تجريبية يقدر بها أن يوجد تلك الكليات في المواد، وذلك كالحال في الصنائع العملية التي تستعمل الروي.

أمراض الدماغ

"أكثر أمراض الأعضاء الباطنة التي تحتاج إلى الاستدلال عليها هي: إما أورام، وإما سوء مزاج مادي، أو غير مادي.

والدماغ يعرض له أصناف سوء المزاج - أعني الحار والبارد، والرطب واليابس - ويستدل على واحد واحد منها بالعلامات الدالة على غلبة ذلك المزاج على الدماغ، مثل حمرة الوجه وسخونة الملمس التي تدل على غلبة الدم، وتخص سوء المزاج الحار أو البارد أنهما يتبعهما الوجع المسمى صداعاً، إلاَّ أنه في المزاج الحار أحدّ.

وأما الرطوبة واليبوسة فليس يكون عنهما وجع، بل إنما يكون عن رطوبة ثقل فقط، وقد يستدل على الرطوبة بثقل الرأس وكثرة النوم وكدر الحواس، وعلى اليبوسة، بأضداد هذه الأعراض.

وربما كان هذا المزاج العارض للرأس حادثاً فيه حدوثاً أولياً، وربما كان من عضو آخر. وأكثر ذلك إنما يكون عن المعدة، ويستدل على ذلك بالصداع الذي يهيج عند

تهوّع المعدة (الهواع: القيء) أو خلوها عن الطعام أو فساد الأغذية فيها، وبالجملة أنه يزيد مرض الدماغ بتزيد مرضها، وينقص بنقصانه.

وربما كان بمشاركة العرقين السباتيين كما يعترى في الصداع المسمى شقيقة، ويستدل عليه بالعلامات الدالة على امتلاء الرقبة.

وربما كان ذلك بمشاركة جميع البدن، ويستدل عليه بالعلامات الدالة على أحد صنفي الامتلاء.

ويحدث بالدماغ جميع أصناف الأورام الحارة والباردة، والاستدلال هنا على العضو الآلم، وعلى المرض قد يكون من الأفعال الخاصة به، وذلك أن الدماغ إذا أصابته مثل هذه الآفة أصابه بسببها اختلاط ذهن ملازم، وإنما قلنا ملازم فرقاً بينه وبين الاختلاط الذي يكون بمشاركة عضو آخر كالذي يعرض من ورم الحجاب.

وأما كيف يستدل من هذه الأمراض الداخلة على الأفعال على نوع المرض الفاعل لذلك فإن الذي يكون منها صفراوياً، يعرض لصاحبه خيالات ردية، ويتخيل إليه كأن زئيراً على ثيابه فهو يلتقطه، ويصبهم سهر، وإذا انتبهوا انتبهوا مذعورين.

وأما الذي يكون عن الدم، فإن السهر فيهم يكون أقل، ويعرض لهم ضحك وانبساط.

كما أن الذي يكون عن الصفراء يكون مع غضب وسوء خلق.

وأما الذي يكون عن السوداء، فإن فساد الذهن فيه يكون مع جزع شديد وخوف وبكاء.

وأما الذي يكون عن البلغم فإنه يكون عنه تعطل في القوى النفسانية".

بعض الأغذية

ا - الفواكه

- التين - والتين في مزاجه حار رطب يخمل بالمعدة ويلين البطن، وفي جلاء بحسب ما فيه من اللينية، وأفضله أتمه نضجاً.
- العنب: وأما العنب فإنه حار، حرارته قليلة، يرطب باعتدال، يخصب البدن بسرعة، إلاّ أنه يكون عنه رياح في الهضوم كلها، بخلاف التين، فإن الرياح المتولدة عنه إنما هي في المعدة والأمعاء..
- الزبيب: فحار رطب، منضج، نافع للكبد، وأما نبيذه فهو أضعف في أفعاله من الخمر، وهو بالجملة ينوب منابها.
- التفاح: الحلو حار باعتدال، رطب، والحامض بارد يابس، خاصته تقوية الأعضاء الرئيسية، وهو يقوي الدماغ بالشم، وهذا كله لعطريته، وهو مما يولد رياحاً غليظة في الهضم الثاني والثالث، حتى أنهم زعموا أنه ربما كان سبباً للسل، وذلك أنه يخرق الرياح المتولدة عنه شرايين الرئة.. هكذا حكاه أبو مروان بن زهر، ولكن شرابه ليس يتولده عنه هذه النفخة.

- الكمثرى: أما الذي لم يدرك منه نضج فبارد يابس، وأما الذي أدرك فمعتدل أو مائل إلى البرد قليلاً لأنه مركب من حلاوة وحمضة، وقبض أفعاله الثوالث قبض البطن، وخاصته قطع العطش.
- السفرجل: أغلظ جوهراً من الكمثرى، وأكثر قبضاً، ولذلك صار برده أكثر، وخاصته أنه يشد النفس وينفع من الخفقان شمه كما ينفع الكمثرى وهو في ذلك أقوى.
- الرمان: منه الحار ومنه الحامض، وكلاهما رطبان، إلاَّ أن الحلو أرطب وأحر، ويكون منه نفخة يسيرة، وخاصته أنه يمنع الأغذية من أن تفسد في المعدة.
- الخوخ: بارد رطب يحدث أخلاطاً زجاجية، خاصته أنه إذا شمّ نفع المغشي، ينفع أكله من بخر المعدة، وأما لب نواه فإنه يجلو الوجه، ودهنه ينفع من ثقل الصمم، وعصارته تقتل الديدان.
- المشمش: وأما المشمش فإن مزاجه يقرب من مزاج الخوخ، إلاَّ أنه ليس فيه خواص الخوخ.

٢ - *البقول والحبوب:*

- الباقلي: إما أن يكون معتدلاً في الحر والبرد، وإما أن يكون مائلاً إلى الحر قليلاً، وبذلك صار يحلل الأورام بالجلاء الذي فيه وينضجه، وهو كثير الرطوبة، ولذلك يتولد عنه نفخ كثير، وليس في الطبخ قوة على إذهاب نفخته، ولو طبخ كل الطبخ كما يقول جالينوس، وزعموا أن خاصته الإضرار بالفكر، وإن من تمادى عليه لا يرى رؤيا صادقة.
- الحمص: حار باعتدال، رطب ذو نفخة أيضاً، وأفعال الثوالث أنه: ١- يزيد في المني. ٢- يدر البول والطمث. ٣- ويفتت الحصى الأسود منه. والذي يؤكل منه رطباً يولد في المعدة والأمعاء فضولاً كثيرة. والمقلو منه ومن الباقلي أقل نفخة، إلاَّ أنه أعسر هضماً، اللهم إلاَّ أن يخلخله الانقاع قبل ذلك. وخاصته تحمير البشرة، وذلك ضرورة لكثرة ما يتوله عنه من الروح، ولذلك يعين على الباه.
- العدس: بارد يابس، يولد دماً أسوداً، ويطفئ الدم الملتهب، ولا سيما إذا طبخ بالخل، وأفعال الثوالث أنه: ١- يقطع الباه. ٢- يولد ظلمة البصر. ٣- وهو إذا سلق بالماء، حابس للبطن.
- الترمس: يابس أرضي مر، فإذا نقع في الماء حتى تذهب مرارته كان غذاءً طيباً، وهو إذا استعمل مرّاً قتل الأجنة وأخرج الحيات من الجوف، ويدر البول، ويفتح أفواه البول.
- الأرز: غليظ الجوهر، قريب من الاعتدال في الحر والبرد، يقطع الإسهال، وهو غذاء لذيذ إذا طبخ باللبن.
- اللوبياء: حارة، رطبة، تخصب البدن وتدر البول والطمث، وتلين البطن، وخاصة الحمراء منها، وترى أحلاماً، وتغزر الرأس.
- الدخن: بارد يابس، عاقل للبطن، قليل الغذاء.
- الذرة: يابسة، قليلة الغذاء.
- الجلبان: بارد، يجفف، قليل الغذاء.

الرياضة

"الرياضة هي حركة الأعضاء إرادة ما. وذلك:

(أولاً) للأعضاء التي شأنها أن تتحرك بهذه الحركة، وهو جميع الأعضاء التي لها حركة إرادية.

(ثانياً) للأعضاء التي تجاوز هذه، وهي الأوردة وآلات الغذاء.

ولما كانت الرياضات هي حركات الأعضاء كان منها جزئي وكلي، وذلك أن منها ما هي رياضة لجميع البدن، ومنها ما هي رياضة مخصوصة بعضو ما: مثل أن الصوت رياضة الرئة، والقيام والقعود رياضة للصلب، ولن يخفى على من كان عالماً بحركة الأعضاء أي رياضة تخص عضواً عضواً، فهذا أحد ما تنقسم إليه الرياضة من جهة الأعضاء أنفسها.

والرياضة منها قوية ومنها خفيفة، وكل واحد من هذين الأمرين إما أن يكون عن نقلة المرتاض أعضاءه بعضاً. وهو يوجد فيها السريعة والبطيئة.

وأما أن يكون مقاومة بينه وبين محرك آخر يثبت في مكان ويأمر غيره أن ينزعه منه، ومن هذا النوع إشالة الحجر وغير ذلك. وهذه ليس يوجد فيها السرعة والبطء، وربما اجتمع في الرياضة السرعة والقوة، كالذين يطفرون بالحروب.

والرياضة المعتدلة فعلها بالجملة تنمية الروح الغريزية، وتدفع الفضول عن آلات الغذاء وتحليلها، وتطيب الأعضاء أنفسها، وهي في هذا المعنى أفضل شيء تنمي به الحرارة..

وهذه إذا استعملت بعد تمام الهضم نفعت هذه المنفعة التي ذكرنا، وأما متى استعملت والغذاء غير منهضم لن يؤمن عن استفراغ الأعضاء أنفسها أن تجتذب الغذاء إليها غير منهضم.

وبالجملة، فالقوة الهاضمة إنما يكمل فعلها بالسكون، كما أن القوة الدافعة إنما يكمل فعلها بالحركة! ولذا كان وقت الرياضة هذا لوقت، أن يكون البول منصبغاً أترجيا (الأترج ثمر من جنس الليمون) لا شديد الحمرة، ومقداره في القوة هو أن يبتدئ البدن يعرق، والنفس يتصاعد.

وأما الرياضة القوية فإنما تستفرغ من البدن أكثر مما تحتاج إليه، فهي بذلك تضعف كما نرى ذلك في أصحاب المهن القوية.

وأما الرياضة الضعيفة فإنها لا تستفرغ كل ما يجب استفراغه، فلذلك كانت زائدة في الأعضاء ومنمية للأبدان.

وأما أن الرياضة بالجملة مصحة عظيمة، وأنها أشد من عدم الرياضة، فذلك بيّن من حال المقصورين في السجون، فإنها تصفر وجوههم وتفسد سحنتهم وتحل أفعالهم الطبيعية كلها، وليس يظهر هذا في الإنسان فقط، بل وفي جميع الحيوانات المقصورة، كالطيور في الأقفاص وغير ذلك..".




تحية اللقاء..

شعر الدكتور: رضا رجب

أنا طائرٌ حوَّمْتُ حولَ المنابع
وقاد جناحي شوقهُ للمرابعِ
كأنَّكِ (ليلى العامريَّة) لم تزلْ
تلوحُ (لقيسٍ) في طلول المواضعِ
فلا تعجبي إن طرتُ والرِّيحُ مركبي
بلهفةِ طفلٍ لاعتناق المراضعِ
أيرضيكِ أني عاشقٌ صاغَ عِقْدَهُ
لجيدِكِ شعراً من يتيمِ الروائع
وأنّي أبدعت القصيدة عامداً
لتغري العيونَ الناعساتِ بدائعي
حملتُ إليكِ العطرَ والشِّعرُ وردُهُ
كثلج في تلاّتِ (عكَّارَ) ناصعِ
وعتَّقتُ من عنقودِ (جزِّينَ) خمرتي
ولوَّنتُ من وشْي (الشَّوير) مطالعي
لعلَّكِ يا بيروتُ ترضينَ بالذي
بصدريَ من سرٍّ على الناسِ ذائعِ
سلامٌ على بيروتَ بحراً وشاطئاً
على كلِّ بستانٍ وبيتٍ وشارعِ







سلامٌ على ناقوس كلِّ كنيسة
على كلِّ ديرٍ في (البقاع) وجامعِ
على جارة الوادي الأميرةِ (زحلةٍ)
على جدولٍ من سفح (صنِّينَ) نابع
على كلِّ راضٍ بالوصالِ ورافضٍ
على كلِّ عاصٍ للغرامِ وطائعِ
سلامٌ عليها والشِّمالُ مصادري
سلامٌ عليها والجنوبُ مراجعي
على (هرمل) العاصي على كلِّ بيدرٍ
وحقلٍ سقاهُ زارعٌ تلوَ زارعِ
سلامٌ على بيروتَ فهي حبيبتي
وكعبة أحلامي ومهوى مواجعي
سلامٌ عليكم قادة الفكر ها أنا
أقلِّبُ طرفي بين شادٍ وساجعِ
أسافرُ في بحر من الحبِّ دافئٍ
وأقرأ في سفْرٍ منَ النور ساطعِ
إذا كرَّموا في آخر الأرض شاعراً
أحسَّ انهمارَ الوردِ بين أصابعي
واسمع أنَّاتِ النّجومِ بشرفتي
عذارى تثنَّتْ وُلّهاً في المخادعِ
وأبسط للنَّجوى حروفي كأنَّها
ندى الحُلم الهاني بأجفانِ هاجع
وأغمضُ جفني والزَّمانُ وسادتي
لأكتبَ أحلامي بنزفِ مدامعي







سلامٌ على الشعر الذي ظلَّ صامداً
على ما يُعاني من عَتيِّ الزّعازعِ
على اللغة الفصحى وقاموسها الذي
يواجه غزواً غير خافي الدَّوافعِ
على ناقد لا يجعل النَّقدَ مهنةً
ليقطفَ منها دانياتِ المطامعِ
على شاعرٍ لم يستعرْ ثوبَ غيره
ويمشي مدلاّ باسمه في المجامعِ
على عربيٍّ لم يؤجّرْ لسانَهُ
ولا أذنيه لابتغاءِ المنافعِ
على قارئٍ قادت خُطاهُ بصيرةٌ
فأدركَ فحوى الشعر خلفَ المقاطعِ
سلامٌ على الشعر الأصيل وإنّني
لأخشى عليه من جحيمِ المطابعِ
وأخشى عليه من رواج مزوِّرٍ
وأخشى عليه من عميلٍ وتابعِ
وأخشى عليه من دعاةِ تمدُّنٍ
زها السّوقُ منهم في رخيص البضائعِ
وأخشى من عقولٍ سقيمةٍ
تُحمِّلُهُ الأخطاءَ باسمِ الشَّرائعِ
وأخشى عليه من تُراثٍ مزوَّرٍ
ومن قال: سُمُّ الجهلِ ليس بنافعِ؟
وأخشى عليه من أمورٍ كثيرةٍ
وهيهاتَ يشفي الوهمُ أكبادَ جائعِ

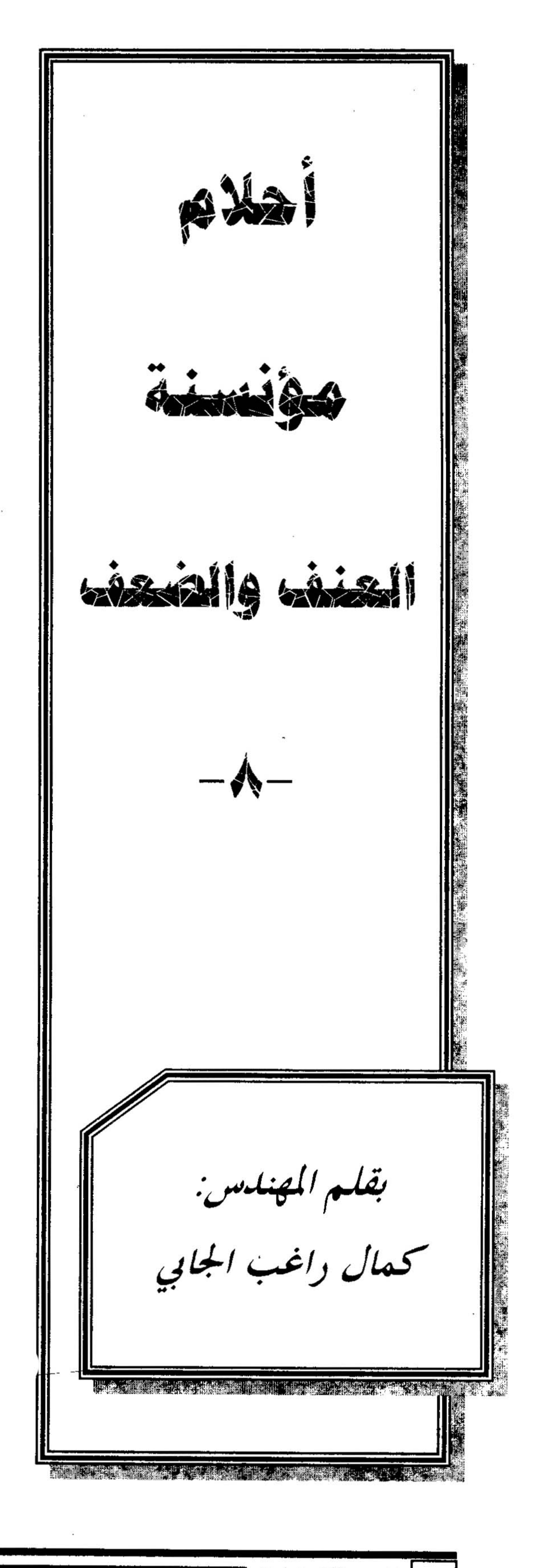






فمـــن خطـــأٍ فـــي مـــنطق العمـــدِ قـــادمٍ
إلـــى خطـــأٍ فـــي مـــنطقِ العـــصر شـــائع
ومـــــن خبـــــر ردَّ الحقــــيقة بـــــاطلاً
وبــــرّأ مـــــنِ أوزاره كــــلَّ طامــــــع
كـــأنْ لا يكـــونُ الـــشّاعرُ الحـــقُّ شـــاعراً
إذا لـــم يكـــنْ آبـــاؤهُ مــــن (مجاشـــعِ)
وإنّــــي رأيـــتُ الفجـــرَ يـــوقظُ جفـــنهُ
صـــياحُ الزَّواقـــي نقـــيقُ الـــضّفادعِ
أتيـــتُكَ يـــا (لبـــنانُ) والـــشمس فـــي يـــدي
وألـــفُ صـــباح مـــشرقٍ فـــي أضـــالعي
أبـــاركُ هـــذا الـــسَّعيَ فـــي اللهِ صـــادقاً
وســـعيُكَ عـــند الله لـــيس بـــضائعِ
أرى فــــيهِ جهـــداً مُـــبدعاً متواضـــعاً
ولـــم أرَ مـــثل المـــبدعِ المتواضـــع
كفـــى أن تـــرى فـــيكَ الأبـــوَّة شـــاهدةً
علـــى شـــاعرٍ صـــافي الـــسَّريرةِ بـــارعِ
ومــــن حــــقِّ آبـــاءِ الـــرِّجالِ علـــيهمُ
حمايـــة مـــا قـــد حـــصَّنوا مـــن ودائـــعِ
وصـــونُكَ للـــشعر الأصـــيل رســـالة
صـــداها غـــداً تلقـــاهُ مـــلءَ المـــسامعِ
فإنّـــي رايـــتُ الـــشعرَ - إلا أقلَّـــهُ -
يـــروحُ ضـــلالاً بـــين شـــارٍ وبائـــعِ
فمـــن لـــي بـــوقتٍ يجعـــلُ الـــشعرَ سـيِّداً
ويخـــرسُ صـــوتُ الـــشِّعر صـــوتَ المدافع



كثيراً ما يخطر على بال المؤنسنين من البشر سؤال يستفسر عن أسباب تركيز العنف لدى قلة محدودة من سكان هذا العالم، وعن الوسائل والأدوات التي يتبعونها لفرضه على الآخرين. وعن أسباب انتشار الضعف لدى الكثرة الممدودة من هؤلاء السكان، وعن أبرز تبدياته وأوضح تجلياته.. وكثيراً ما يتوارد إلى ذهن هؤلاء المؤنسنين المقولة التي تفيد بأن هنالك علاقة ما بين حجم أنوف بعض البشر وبين ممارستهم للعنف، وتمرسهم فيه، وغرامهم به، وعشقهم له، وبشكل يبدو معه بأنه كلما كانت أنوف البشر كبيرة أو طويلة كلما مكنت أصحابها من دسها في شؤون الآخرين وشمشمة أخبارهم ولملمة ما يهمهم منها لتوظيفها في استغلالهم وسرقتهم بعد نشر الشقاق بينهم والشك في قدراتهم وإفقادهم اليسر في تصريف أمورهم، والطهر في ممارساتهم، والنصر في توجهاتهم... وليس من باب الصدفة كما يعتقد هؤلاء المؤنسنون أن أحجام أنوف أفراد الشعب المحتال والذي يصف نفسه بالشعب المختار ليست كبيرة فقط وإنما طويلة ومعقوفة أيضاً، وبشكل يساعدها على التمدد والانتشار والتفرع والانتثار. ولعل (الفورمونات) التي تتشكل عناصر الشم منها لدى هذه المجموعة من البشر أغزر وأوفر من نظائرها لدى المجموعات الإنسانية الأخرى وهي التي تشدها إلى النوع البيولوجي الذي كان البشر جميعاً ينتمون إليه في غابر أيامهم وتمنعها من الانتقال إلى النوع الإنساني الذي يجري الانتقال إليه تدريجياً من قبل فئات منهم نتيجة لافتقادها للكم اللازم من هذه الفورمونات للقيام بأعمال الشم الشيطانية وافتقارها إلى الكيف المناسب منها للممارسة الأفعال العدوانية... ولقد كان الشاعر ابن الرومي مولعاً في وصف هذه الفئات من الكائنات البشرية وماهراً في

الربط بينها وبين أصولها التي لم تنفصل عنها بعد. فقد قال في وصف أحد هذه الأنوف من الناحية الشكلية:

أن كــــان أنفــــك هكـــــذا
فالفـــيل عـــندك أفطـــس

كما قال في بيت أخر مقارناً ومن حيث المضمون القدرات الشمية والخلقية عموماً لأحد الأشخاص بالقدرات الشمية وخصلة الوفاء منها بالذات عند فصيلة الكلاب التي تتميز بهما معاً بقوله:

والكلـــب واف وفـــيك غـــدر
ففـــيك عـــن قـــدره ســـفول

ولكن هذا الشاعر تفوق على نفسه عندما وصف أنف أحد هؤلاء المحتالين وليس المختارين وصفاً ينطبق على جميع أفراد المجموعة التي ينتمي إليها وليس عليه فقط. وقد كان اسم هذا الشخص (ابن حرب) والذي لم يورده ابن الرومي مصادفة في تقديرنا إنما قصد به كل من يدعون أنهم (أبناء الله) والذين يسمونه (يهوه) أحياناً، و(رب الجنود) أحياناً أخرى. ورب الجنود هو إله الحرب طبعاً. وأبناء إله الحرب هم أبناء الحرب و(ابن حرب) هو وأحدهم الذي يشير ابن الرومي عن طريقه إليهم ويكني به عنهم بقوله:

لـــك أنـــف يـــا بـــن حـــرب
أنفـــت مـــنه الأنـــوف

ولقد أحسن ابن الرومي بتصوير أنفة أصحاب الأنوف العادية والذين هم من أتباع الشريعة السماوية التالية وهي شريعة المحبة والتي يرفع أتباعها شعار (الله محبة) وأتباع شريعة السلام التي تلتها والذين يرفعون شعار (السلام عليكم) ويرددونه عشرات المرات في كل يوم، من أصحاب الشريعة الصهيودية والتي هي على وضعها الحالي شريعة الكراهية والعدوان والتي يرفع أصحابها شعاري (الشعب المختار وكره الأغيار). ولقد أحسن الشاعر أكثر في البيت الثاني الذي قال فيه:

أنـــت فـــي الـــدار تـــصلي
وهـــو فـــي البـــيت يطـــوف

حيث وصف فيه ممارسات أبناء حرب أو أصحاب الأنوف الطويلة الذين تحوم أنوفهم حول البيت خلال صلواتهم في دورهم. إذ نتصور أنه يقصد بالبيت (بيت المقدس) انسجاماً مع وصفه لهؤلاء الأصحاب في البيت الأول. وبيت المقدس يعني بالنسبة (لأبناء الحرب) الهيكل الذي يقولون أن النبي سليمان (والذي يصفونه بالملك وليس بالنبي) قد بناه فيه. مما جعل منه شعاراً ترفعه مجموعات كثيرة منهم تطلق على نفسها اسم الهيكلين وتنادي بالعودة إلى الأرض التي بني فيها رغم عدم وجود أي من الأوابد الأثرية التي تشير إلى مصداقية هذه المقولة. وهم يدّعون بأنهم مأمورون بالتجمع في رحابه والتفيؤ بمحرابه وطرد الآخرين ليس من المدينة التي أنشئ فيها فحسب بل من كل الأراضي المجاورة له أو البعيدة عنه والتي تدر اللبن ويجنى منها العسل حيث يقومون بمد مساحتها من النيل إلى الفرات ويعدونها الخطوة الأولى التي ستساعدهم على القفز على روما ومن بعدها إلى حكم بقية العالم وذلك اثر معركة طاحنة حسب تنبؤات أحبارهم ستبدأ حسب تصورهم من موقع (هر مجدون) شمال غرب مدينة حيفا، سيُباد فيها حوالي ثلث سكان العالم وسيظهر في نهايتها مسيحهم المنتظر.

وسيتدافع الناس في نهايتها لاعتناق عقيدتهم حيث سيقبلون فيها جميعاً ما عدا المسيحيين حسب ما يورد (التلمود) الذي يوازي التوراة في القدسية إن لم يتفوق عليها لدى أتباع هذه الشريعة وبخاصة الفئة الحاكمة في إسرائيل حالياً. ويعود رفض الصهيودين للمسيحيين وانسحاب كراهيتهم لهم على قادم أيامهم لمعارضة نبيهم عيسى لتعاليمهم ومناهضته لممارساتهم ومحاولته تعميم شريعتهم على جميع الناس، وعدم مجاراته لهم بإغلاقها عليهم فقط... مما جعلهم يتنكرون له ويتآمرون على قتله وينقمون على أتباع شريعته إلى أبد الآبدين رغم تصريحه بأنه لم يأت لينقض شريعتهم وإنما جاء ليكملها. ويلاحظ بسهولة أن تقديس أصحاب الشريعتين اللاحقتين لبيت المقدس، وإن كان لا يقل عن تقديس أصحاب الشريعة الأولى، ولكنه لا يصل إلى هذا الغلو رغم ما لهذا البيت من سمو المنزلة وعلو المكانة في عقيدتهما اللتين لم تعمدان كسابقتهما إلى المزج، ونتيجة للتحريف والتخريف، بين تعاليم السماء وبين اقتناص الأرض وافتراس أصحابها عن طريق وعود منحولة وتعهدات مخبولة... وأما (الدار) التي ذكرها (ابن الرومي) في الشطر الأول من هذا البيت والتي كان (ابن حرب) يصلي فيها فهي كناية عن الدور الكثيرة المنتشرة في جميع أنحاء العالم والتي أصبح أصحاب الأنوف الكبيرة أو (أبناء الحرب) يصلّون فيها ويصلون عن طريق الصلات غير المشروعة مع أشرارها إلى تحقيق مصالحهم وغاياتهم منذ أن طردهم الرومان بقيادة (تيتوس) من بيت المقدس في نهايات القرن الميلادي الأول وشتتوهم في أنحاء المعمورة مما جعلهم يقيمون بين دور الآخرين في حالات قليلة وفي (غيتوات) مستقلة وخاصة بهم في الحالات الأكثر. والى أن تمكنوا من أن يؤسسوا دوراً أكثر وغيتو أكبر في القارة الواقعة خلف بحر الظلمات. بعد أن تعاونوا مع القراصنة الأوربيين الذين هاجروا إليها على قتل معظم أبنائها من الهنود الحمر أو طردهم منها بالطريقة نفسها التي كانوا يتبعونها في ماضي الزمان. وبعد أن استلهم القراصنة الأوروبيون المهاجرون تعاليم (العهد القديم) الملصقة بـ (العهد الجديد) وبخاصة ما يتعلق بطرق الغزو والاستيطان، والإزاحة والحلول، والإقصاء والإدناء... بالارتكاز على الغدر والخداع مستغلين قدرات الأنف الشمية ونزعات العنف الإرهابية اللتين زرعتها هذه التعاليم لديهم بعد أن لاقت هوى في نفوسهم وصدى بين جنباتهم...

ولقد نمت القدرات الأنفية التجسسية وترعرعت في أحضان الصهيوديين وبرعاية حاخاماتهم وأحبارهم الذين عمدوا إلى مدها بكل ما هو شائن ومشين ودمجوا بينها وبين الدعارة التي هي أول وأقذر مهنة في التاريخ وجعلوا من الجاسوسية ثانية هذه المهن من ناحية القدم والقذارة معاً. وقد تعاظم الاهتمام بها على مدار التاريخ إلى أن تمكنت الصهيودية من إقامة أول جهاز رسمي للجاسوسية عام سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف تحت اسم (الموساد) الذي يعني (منظمة الهجرة غير الشرعية) وقد أعلن تأسيسه رسمياً في الثلاثين من حزيران عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف بعد أن لعب الدور الرئيسي في إقامة الكيان الإسرائيلي في فلسطين. وأخذ منذ ذلك الوقت يلعب أدواراً أخرى في جمع المعلومات لترسيخ أقدامه في الموقع الذي احتله حتى لو أدى ذلك إلى التجسس على أكثر الدول دعماً له وتأييداً لمواقفه. وذلك بهدف سرقة الأسرار التجارية منه والتي قدرت قيمتها بـ مليار دولار عام اثنان وتسعين وتسعمائة وألف حسب ما ورد

في أحد أعداد مجلة التايم في ذلك العام. وبهدف تهريب بعض تقنيات صناعة الأسلحة إلى هذا الكيان في عام ستة وتسعين وتسعمائة وألف والتي جاء في تقرير للكونجرس في الفترة ذاتها بأن إسرائيل تقود أشرس حملة تجسس ضد الولايات المتحدة الأمريكية. وقد احتل التجسس الاقتصادي مكانة بارزة في أعمال التجسس الصهيونية التي قطعت باعاً طويلاً ليس في أعمال التجسس التقليدي فقط بل في الأعمال الحديثة منها كالتجسس الإلكتروني عبر الانترنيت وتفخيخ الحواسيب بدس البرامج لاختراق بنوك المعلومات وذاكرات الكمبيوتر وغيرها حسب ما ذكر الدكتور سمير صارم في كتابه (التجسس الاقتصادي)...

وتستثمر للصهيونية حالياً جميع الوسائل غير الأخلاقية لتحقيق أغراضها غير المشروعة بأساليب افعوانية منها قيام مؤسسات متخصصة بتدريب النساء للقيام بالتجسس عن طريق الجنس ثم بتوزيعهن على الملاهي والمرابع الليلية في العالم ليقمن باستدراج الشخصيات المؤثرة للإدلاء بالمعلومات والقيام بالخدمات خلال ساعات اللهو. وتقبع هذه المؤسسات وراء أغلب مظاهر الانفلات الأخلاقي الذي يتعاظم في العالم يوماً أثر أخر.

وقد نشرت إحدى الغانيات التي تدعى (كسافيرا هولندر) وهي صاحبة أكبر دور للبغاء في أمريكا كتاباً بعنوان (الغانية السعيدة) حسب ما ذكره الأستاذ (سعيد الجزائري) في كتاب (المخابرات والعالم) أوردت فيه أن مضيفات شركة (العال) الإسرائيلية من أوقح العاهرات حيث يهرعن إلى منازلها بمجرد هبوط طائراتهن للحصول على أكبر مبلغ من المال وأكبر كمية من المعلومات أيضاً...

ولعل الصهيوديين وكما تؤكد أدبياتهم هم أول من تعامل مع القدرات الأنفية بهوى وأول من استخدمها بهوس ضد الآخرين. فهم وحسب توراتهم المحرفة من أوائل الذين ركزوا على أعمال التجسس وأرسوا الأسس الخاصة بها وأطلقوا عليها صفة التقديس وذلك عكس المصريين القدماء الذين كانوا يعدونها خطيئة تخزي الروح كما ورد في كتاب (الموتى) الفرعوني... ويذكر الإصحاح الثالث عشر من سفر العدد أن (يهوه) طلب من النبي موسى إرسال رجال ليتجسسوا أرض كنعان قبل غزوه لها. وقد اختار النبي موسى عدداً منهم يبلغ إثنا عشر جاسوساً بعدد أسباط إسرائيل الإثنى عشر وبعث بهم إليها حيث مكثوا فيها أربعين يوماً ثم عادوا وأخبروه كما أخبروا بني إسرائيل بأن الأرض محصنة وأن شعبها قوي وأبناءها من الجبابرة فغضب النبي موسى وتذمر شعبه وخاف من محاربة سكان الأرض... وأما الإصحاح الرابع عشر من السفر نفسه فقد جاء فيه بأن الرب كلم النبيين موسى وهارون معلناً سخطه على جماعتهم الشريرة المتذمرة لخوفها من اقتحام أرض كنعان وطرد شعوبها والحلول محلها وكتب عليهم أن تسقط جثث كل من تجاوز العشرين منهم في ذلك القفر كما كتب على أبنائهم التيه أربعين سنة فيه بعدد الأيام التي تجسسوا فيها الأرض وبمعدل سنة لكل يوم من أيام التجسس كما كتب على النبي موسى عدم دخول هذه الأرض وأسند أمر دخولها إلى يشوع بن نون من بعده الذي أرسل بدوره جاسوسين فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية في (أريحا) اسمها (راحاب) وأضجعا هناك وتعرفا على مداخل ومخارج المدينة ووعداها بالنجاة بعد الغزو... وأنه بعد ذلك استباح الغازون كل ما في المدينة من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف كما ورد في

الإصحاح الأول وحتى السادس من سفر يشوع.

كما وأنه لعل الصهيوديين، وحسب أدبياتهم نفسها، أول من تعامل مع نزعات العنف الإرهابية بشغف، وأول من أستخدمها بحب وولـه. وأصدق مثال على ذلك الحادثة التي لفقها كتبة التوراة للنبي موسى بإفنائه لسكان (مدين) بسبب تعلق واحد من شعبه بفتاة منهم وغيرة الرب بسبب زواج هذا الإسرائيلي بامرأة من غير ملته وكأنما الكتبة قد نسوا أو تناسوا بأن النبي موسى نفسه تزوج بفتاة مديانية هي ابنة كاهنهم النبي شعيب. الأمر الذي يجعل قارئ هذا الكتاب غير قادر على هضم هذا التناقض بالمواقف الذي يبعد كل البعد عن المنطق السليم. ويجعله غير قادر أيضاً على فهم الدوافع وراء الكم الكبير من العنف والحجم الفظيع من الإرهاب الذي حقن الكتبة بهما أتباعهم وزرعوه في حنايا نفوسهم باختلاق ردود فعل على درجة كبيرة من الوحشية لا تتناسب إطلاقاً مع الفعل نفسه الذي يبدو عادياً في أغلب الأحوال ولا يستحق هذه الردود من الأفعال. ففي الحادثة التي ذكرناها يرد في الإصحاح الواحد والثلاثين من سفر العدد بأن الرب طلب من النبي موسى الانتقام من المديانيين بقتل كل ذكر منهم وسبي نساءهم وأطفالهم ونهب جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وإحراق جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار أو أخذها غنائم منهم... وتتابع الفقرة الخاصة بهذا الإصحاح بأن النبي موسى سخط على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ورؤساء المئات وطلب منهم بأن يقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر. ولنا بعد ذلك أن نوازن بين ما جاء في هذه الفقرة وفي الكثير من الفقرات الواردة في التوراة التي تماثلها وتفوقها عنفاً ووحشية، ولا يتسع المجال لذكرها هنا، وبين وصية الخليفة أبي بكر الصديق لجيشه المتوجه لفتح الشام والذي طلب من أفراده فيها بأن لا يقتلوا شيخاً أو امرأة أو طفلاً وأن لا يعقروا بقراً أو غنماً ولا يقطعوا شجراً وأن يتركوا الكهان والنساك في صوامعهم يتعبدون دون أن يلحقوا بهم أي أذى...

ولقد أثمرت هذه التعاليم الصهيودية الدموية في قادم الأيام ونتج عنها تأسيس فرقة إرهابية متطرفة ولعلها من أوائل فرق التطرف المعروفة في العالم أطلق عليها اسم (القنائين) كانت موجودة في بداية ظهور المسيحية كما يذكر الدكتور حسن ظاظا في كتابه (الفكر الديني اليهودي). وهذه الفرقة كانت تمتاز بالغلو الشديد. وهي شعبة من الفريسيين الذين يؤمنون بالتلمود أيمانهم بالتوراة بل يقدمونه عليها. وكلمة (قناء) تعني الغيور أو صاحب الحمية وقد اختلط وصفها في اللغة العبرية بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويمكن اعتبارها التنظيم السياسي العسكري الإرهابي الصهيودي الأسبق في التشكيل. ورغم اندثار هذا التنظيم كجماعة ولكنه لم يندثر كفكر يقوم على الإرهاب والعنف. وقد نجم عن هذا الفكر تأسيس الكثير من الفرق المتطرفة في قادم الأيام وفي العصر الحديث تحديداً كمنظمة الأرغون ومنظمة الهاغانا وغيرها والتي أسفرت عن إقامة الكيان الأكثر إرهاباً وعنفاً في العالم والذي أطلق عليه اسم (إسرائيل) والذي أقيم على مزيج من الغدر والخداع والقهر والصراع...

والغدر الذي هو رديف القهر. والخداع الذي هو الطريق إلى الصراع. هما من صميم السمات اللاأخلاقية التي ركز محرفو التوراة على تلقينها لأتباعهم وتعويدهم على اتباعها عن طريق إدراجها في تعاليمها

ونسبها للأنبياء وعدها ممارسات مقدسة ما دامت توصل إلى الأغراض والغايات. فالنبي إبراهيم حسب ما ذكروه في هذا الكتاب خدع فرعون وأنكر زوجته سارة وادعى أنها أخته للوصول إلى أعطياته من الأغنام والأبقار. وكذلك فعل النبي اسحق مع أبي مالك أحد ملوك كنعان. ورفقه زوجة يعقوب أو إسرائيل خدعت أباها وسرقت أصنامه الذهبية بينما احتال زوجها إسرائيل عليه وسرق أغنامه. وشمعون ولاوي إبنا النبي يعقوب خدعا حمور ملك نابلس بعد أن أوهماه بضرورة ختان ابنه شكيم كي يقبلوا فيه زوجاً لأختهم دينا وعندما قام شكيم بالطلب إلى جميع ذكور عشيرته بالختان إثباتاً لحسن نيته، قاما بالإغارة عليهم غدراً وهم يتضورن من ألم الختان. ونساء أتباع النبي موسى غدرن بصديقاتهن وجاراتهن واستعرن منهن الحلي والمجوهرات وهربن بها عند خروجهن معه من مصر.. وغير ذلك من حكايا الغدر والخداع الكثيرة التي نثرها كتاب التوراة بين صفحاته وأترعوا بها حكاياته. حتى ليمكننا أن نعتبره بمثابة كتاب ذي شقين أولهما إيديولوجي همه الأول زرع فكرة التفوق الذي يمثلها الشعب المختار في نفوسهم ليقوموا بدورهم بزرعها في نفوس الآخرين. وثانيهما تعليمي لإرشادهم إلى طريق الغدر والخداع والقهر والصراع لاقتناص أراضي وممتلكات الآخرين وتدريبهم على فنون استخدام الأنف والعنف للوصول إلى غاياتهم...

ولقد أوصل هذان الشقان التجسسي والعنفي إلى كراهية أفراد هذه الفئة لباقي البشر أينما وجدوا وحيثما كانوا مما جعل هؤلاء البشر على مختلف أعراقهم وأجناسهم يبادلونهم كرهاً بكره، وعنفاً بعنف، بعد أن فشلت جميع الجهود لإعادتهم إلى الجادة السوية كما فشلت جميع ممارسات معاقبتهم وإحراق أدبياتهم الموجهة ضد الآخرين والتي يقع كتاب التلمود على قمتها، بعده الكتاب الأكثر تقديساً لدى أغلبهم. وبعده الأكثر عداءاً للآخرين. وبكونه يفوق شقيقته التوراة بهذا المجال بمراحل ومراحل.. حيث أخذ هؤلاء الآخرون يتعاملون مع أفراد هذه الفئة على أساس أنهم مخلوقات غير متوازنة سلوكياً وأخلاقياً. ويمكن أن نفتح أي معجم أو دائرة معارف أو أي موسوعة لنعرف وجهة نظر جميع شعوب العالم حول هذه الفئة من البشر. وعلى سبيل المثال فإن قاموس (أكسفورد) الإنكليزي يذكر كما يقول (اسحق دويتشر) مؤلف كتاب (من هو اليهودي) تعريب (نجاة قصاب حسن) بأن الفعل المشتق من كلمة جيو باللغة الإنكليزي يعني غش وخدع. بينما يكفي على عادة المحققين، اعتراف المجرم بجريمته، هذا الاعتراف يرد صريحاً من كثير من تصريحات وادعاءات الشخصيات البارزة لدى هذه الفئة البشرية المحرفة والمنحرفة منها مقولة للمدعو (أوسكار ليفي) أحد زعماء هذه الفئة والذي يقول متفاخراً (نحن اليهود لسنا ألا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه...)

ولقد أدى التقاء مفسدي العالم ومحركي الفتن فيه مع الغزاة الجدد للقارة الواقعة خلف بحر الظلمات والذين يحاولون مثلهم أن يكونوا سادة هذا العالم وجلاديه إلى توثيق أواصر التعاون وتعميق أسس التفاهم حول ربط الماضي بالحاضر لتحقيق الرؤى المتعلقة به في المستقبل وقد أثمر هذا اللقاء ليس بتوطين مجموعات من هذه الفئة في (بيت المقدس) والمناطق المحيطة وتكريس هذا التوطين عن طريق دعمه المستمر بجميع الوسائل فقط. بل باستخدام الكيان الذي أقيم بموجبه كثكنة متقدمة في قلب المنطقة التي تحتوي على حوالي ثلاثة أرباع بترول العالم

لاستمرار تدفقه إلى بقية دول العالم عن طريقهم ثم دعمه بثكنة أخرى أقامها الغزاة الجدد بالتدخل المباشر في العراق بعدها مركز المربع الذي يحتوي على هذه الكمية الهائلة من النفط والذي يقع القوقاز في شماله والخليج في جنوبه للاستمرار بالتحكم بهذا التدفق تمهيداً لاحتكار بسط النفوذ على العالم اجمع عن طريق قطب واحد ووحيد بعد انهيار القطب الأخر في بداية تسعينات القرن الماضي واعتبار هذا الانهيار الخطوة الكبرى في هذا الطريق الطويل...

وعوداً إلى بدء فإذا كان الغزاة القدامى والجدد يسعون معاً إلى توحيد العالم تحت قيادة قطب واحد يحتكر ثرواته ويستأثر بمقدراته. وإن كانا معاً يستخدمان الأنف حيناً والعنف حيناً ويتجاذبان تحريك المقود الموصل إلى هذا التوحيد أحدهما تحت غطاء ديني تراجعي وثانيهما تحت غطاء تقدمي ذرائعي فإن كليهما لا يرميان من وراء مساعيهما إلا مصلحة الفئات التي تلوذ بهما والتي لا تبلغ أكثر من ثلاثين بالألف من سكان العالم بالنسبة للغزاة الصهيوديين ولا تبلغ أكثر من ثلاثة بالمائة من سكان العالم للغزاة الأمريكيين بينما تتجه جهود المثاليين والذين نفضل أن نطلق عليهم اسم الإنسانيين، كما ذكرنا، إلى توحيد العالم لمصلحة جميع سكانه بلا استثناء لذلك فإن توجهاتهم التوحيدية تركز على الإجراءات المشتركة التي تعود بالخير على جميع أفراد العالم كتعميم الحرية وتطبيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية وكتوحيد العملات وتوحيد اللغات والعمل على تقارب الدخول وجعلها في حدود المعقول دون إغفال ضرورة التصدي لجميع المحاولات التي لا يمل الغزاة القدامى والجدد من القيام بها لتحقيق أحلامهم القديمة قدم التاريخ والمجددة حديثاً من قبل من يدعي الوصول إلى نهاية التاريخ. ولتبديد أوهامهم الحديثة حداثة الجغرافيا وحدودها من قبل من يحاول شطب ما يتعلق بها من أقوام وسحبها باتجاه اتباع سام وانكله وكل من يدور في فلكهما..

* * *

ونجد أنفسنا إثر هذا الحديث عن العنف وأسبابه ودور الألوف فيه وقبل الانتقال إلى الحديث عن الضعف وتبدياته مسوقين إلى القيام بانعطافة ومضطرين إلى ولوج مسالكها كلما جاء ذكر الغزاة القدامى والغزاة الجدد وما فعلوه ويفعلونه في كل يوم في فلسطيننا وعراقنا ولبناننا وفي باقي أراضينا وسامي أمانينا. وكلما تأملنا في أوضاعنا وأوجاعنا وتمعنا في الطريقة التي نتبعها في معالجة أمورنا والتي ورثناها فيما ورثناه عن الممارسات التي كانت سائدة في ماضي أيامنا... وأحسب أن البعض سيعتب علي بسبب أدراجي لها في سياق هذا الحديث لكنني أعتقد أن البعض الآخر سيعجب في حالة عدم أدراجها فيه بعد أن يجدها ضرورية في موضوع هذا الحديث وهامة في سياقه...

ويدفعني إلى هذه الانعطافة بشكل لا شعوري بيتان قديمان من الشعر وجدت فيهما منذ أن سمعتهما من سنوات طويلة ليس الطرافة فقط التي يجدها فيهما أي مستمع عابر وإنما البلاغة التي توجز أسباب تهاوننا في مواجهة مشاكلنا وتكثفها بشكل هزلي وهذان البيتان يصف فيهما الشاعر حبته أو حبيبته قائلا:

من رأى مثل حبتي
تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم غرفتي
وتدخل أردافها غدا

حيث يقودنا حديث الماضي وتفرعاته وتشعباته إلى انه إذا كان للأنف الدور الذي

ذكرناه في العنف والذي قاسى ولا يزال يقاسي منه سكان العالم قاطبة، ونحن منهم بل في مقدمتهم، وعلى مدار التاريخ فإن النموذج المقابل له وبخاصة لدينا، ورغم شدة معاناتنا من أصحاب الأنوف الطويلة ومن أشباههم والسائرين على دربهم في الماضي والحاضر، هذا النموذج المقابل هو الردف الذي كان له دور كبير في وداعتنا ودعة تصرفاتنا وشدة تطلعاتنا إلى التمتع بطيبات هذه الحياة ولذائذها بعد فترة ليست طويلة من نشر أسلافنا لرسالتنا الإنسانية السامية من حدود الصين شرقاً إلى البحر الأطلس غرباً... وقد سبق أن عبرنا عن هذه التناقضات في مقطع شعري من مساجلة زجلية مع أحد الأصدقاء المصريين وباللهجة المصرية المحببة قلنا فيه:

لو رجعنا للتاريخ
وسألناه عن اللي جرى
أزاي الناس اللي قدام
صاروا أوام ورا
حا يجيبنا ببساطة
تايهة عن الورى
حريم وأربع ستات
من كل لون ولون

ولقد كانت النتيجة الحتمية لحيازة هذه الأعداد الكبيرة من النساء من قبل المتنفذين في ماضي أيامنا ليس إلى عزل نصف السكان ومنعهم في المشاركة في شؤون مجتمعاتهم فقط وإنما في الانغماس باللذائذ التي تتيحها هذه الحيازة للأقلية القادرة عليها من القادة والسادة وحاشيتهم وأعوانهم وانصرافهم بالتالي عن متابعة نشر الرسالة وحمايتها من العبث والتشويه . وفي الحرمان من هذه الحيازة بل ومن مستلزمات الحياة الضرورية للأغلبية غير القادرة عليها وإحجامها بالتالي من المشاركة الفعلية في حماية هذه الرسالة بعد أن لم تتمكن من العيش الكريم في كل من يدعي القيام بحمايتهم وحمايتها هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد نجم عن حجز النساء بطء في حركتهن وأخذت أعضاؤهن تميل على التكوير وأخذت الدهون تترسب فوق عضلاتهن اللينة بشكل غزير وعادت المقاييس الجمالية التي كانت سائدة في الجاهلية والتي كان منها امتلاء المرأة وكبر حجمها وضخامة جسمها وأصبحت الطابع الجمالي الأمثل حتى وأن مهر المرآة كان والى فترة زمنية ليست بعيدة يقدر حسب وزنها وبشكل يقل معه مهر المرأة النحيفة عن مهر المرأة الممتلئة التي صورها الشاعر بعدم تمكن ملابسها من الاقتراب من بطنها أو ظهرها لمنع البروزات الأمامية والخلفية لها من ذلك:

أبت الروادف والثدي لقمصها
مس البطون أو أن تمس ظهورا

ومن هذا العرض السريع يتبين العلاقة الوثيقة بين الردف والضعف الذي لم يتمكن بعد تفاقمه من مجابهة العنف الذي أفرزه الأنف وبخاصة لدى من يتمتعون بطول مفرط فيه وبعكفة واضحة عليه والذي تمكن أصحابه بوساطتهما معاً أن يحتلوا أرضنا ويطردوا أهلنا وأن يمارسوا الصلف في التعامل معنا نتيجة ممارسة الآخرين القرف في التعامل معهم ...

ولعل ابتداء اختفاء صفات التكور والتدور لدى النساء في الوقت الحالي بعد ابتداء إلغاء الحجر عليهن، وابتداء تخفيف الحيازة الكبيرة لهن، وابتداء تقليص الحدود

القاسية التي كانت قائمة بينهن وبين الرجال هو بداية المشوار ليس لإعادة نصف قوى المجتمع إلى صفوفه فقط بل بداية تحفيز النصف الآخر على حشد الجزء الأكبر من جهده لخدمة مجتمعاته وعدم تكريسها لخدمة ملذاته.

وختاماً لعله كان من المناسب: أن نجعل من عبارة (الأنف الردف) عنواناً لهذا الحديث أو لعله كان من الأنسب أن نجعل عنوانه (الأنف والعنف، والردف والضعف) لكننا نتصور أن الاقتصار على كلمتي (العنف والضعف) يؤدي المعنى المطلوب دون أن يثير حساسية لا داعي لها وعموماً فإن ما يرمي إليه المؤنسون من البشر ليس المطالبة بإطالة الأنوف لدسها في أمور الآخرين فهذا أمر غير ممكن لتعلقه بالفطرة البشرية. وليس الدعوة إلى تكثير الفورمونات فيها فهو أمر وان كان يمكن تحقيقه عن طريق التعليم والتدريب ولكن الأخلاق السوية تحول بين الأشخاص الطبيعيين وبين شمشمة أخبار الآخرين والتجسس على أحوالهم . وإنما يرمون إلى تكثيف الجهود وتوطيد الهمم لجدع الأنوف التي يجري دسها في مثل هذه الأمور ونزع فائض فورموناتها وبخاصة أنوف الغزاة القدامى والجدد الطويلة والمعكوفة بشكل ظاهر وملحوظ، كما يرمون من ورائه إلى اتباع مختلف الوسائل للإطاحة بالضعف لإمكان مجابهة العنف الذي نتعرض له من أصحاب هذه الأنوف الذين يدعون انهم من نسل سام أو من أتباع سميهم الانكل سام. ومواجهة الإرهاب الذي يتعامل به هؤلاء الذئاب الذين يمارسون شريعة الغاب وينظرون إلى الآخرين نظرتهم إلى الذباب مع السعي الحثيث للترويج لكل التوجهات الداعية إلى أنسنة البشر ومحاولة هداية الفئة الضالة منهم واستثمار النفخة الروحانية المقدسة لديهم لتهذيب أحاسيسهم والتقارب بين دخولهم وعدم وجود تفاوت كبير بين أوضاعهم مستذكرين أن الهدف الرئيسي لجميع الرسالات التي تدعو إلى توحيد الله والذي يعلنه إتباع آخرها في الشهادة التي يرددونها عشرات المرات يومياً هو تقارب جميع البشر تحت مظلة اله واحد وليس آلهة متعددة كما هو ما حاصل يومياً وفي مختلف الأنحاء والأرجاء...

وأخيراً وليس آخراً إذا كان المثل العامي المحلي يقول (اشتدي أزمة تنفرجي) فإن كلمة أزمة تتألف في اللغة الصينية من حرفين أو رمزين أحدهما يمثل الخطر والثاني يمثل الفرصة. ولما كانت الفرصة تتطلب السلوك السوي أو المستقيم إضافة إلى النية الحسنة والإرادة الصلبة فان هذا يشير إلى انه لدى جميع الراغبين من البشر الفرصة لإتباع الصراط المستقيم والذي هو صراط الصفاء والنقاء لجميع الأسوياء وحسب تعاليم السماء التي أقامته على ركائز ثلاث مدعومة بمنارات ثلاث أولاها في بدايته تقوم على ركيزة العقل الجماعي وتجعل من الفكر الحر المنارة الهادية لكل من يسير عليه وآخرتها في نهايته وتقوم على ركيزة المعاملة بالمثل وتجعل من التقوى أو اتقاء غضب الله المنارة الموصلة إلى مسك الختام وأما الوسطى وهي الأقوى والأمتن فتقوم على ركيزة الوسطية الشاملة وتعلوها منارات ثلاث إحداها تتوجه إلى بداية الصراط وتتعلق بالوسطية الاجتماعية والثالثة تتوجه إلى نهايته وتتعلق بالوسطية السلوكية وأما الثانية وهي الأعلى والأكثر لمعاناً والأشد إشعاعاً والأبرز توهجاً فهي الوسطية الاقتصادية والتي إذا خفت ضوءها خفّت قدرة البشر على الاهتداء بنور منارة العقل القائمة على بداية هذا الصراط وتضاءلت قدرتهم على الاحتماء بنور منارة التقوى القائمة في نهايته مما قد يؤدي بهم إلى حياة زاهية ولاهية لكنها ستقودهم حتماً إلى نهاية مرعبة ولاهبة..




الجرح جرحي..

شعر : أ. جابر خير بك

الجـــرح جرحـــي والـــدماء دمائـــي
فأنـــا القتـــيل وقاتلـــي أخطائـــي
ضـيعت خلـف الـوهم كـل حقـيقتي
فلمـــن أوجـــه تهمـــتي وبلائـــي
وقـــتلت في ســـري شـــواهد عزتـــي
ووأدت كـــل رجـــولتي وإبائـــي
ومحـــوت مـــن كـــتب الـــتراث أصـــالتي
وتـــركت تاريخـــي يـــنوح ورائـــي
ودفـــنت أمجـــادي وبعـــت عقائـــدي
ومـــنحت أنـــصاف الـــرجال ولائـــي
يبـــست تعـــابير الكفـــاح علـــى فمـــي
وطـــويت بـــين جوانحـــي إرزائـــي
صـــدري يدغـــدغ خافقـــي ويـــريده
أن يـــستعد لطعـــنة نجـــلاء







والفكـــر بـــات مـــع الـــضمير معقـــداً

ممـــا تحـــوك قـــوافل الجهـــلاء

ممـــا يحـــاك وراء كـــل ثنـــيةٍ

مـــن ثـــورة أو فتـــنة عمـــياء

وزعامـــة الـــوطن الكـــبير مريـــضة

تجـــترُّ تاريخـــاً مـــن البغـــضاء

علَّقـــتُ أمالـــي علـــى أقـــوالها

فكـــشفت ســـرَّ تخلفـــي وغبائـــي

ونفـــضت كفـــي يائـــساً وملـــوعاً

وغـــدا سمـــيري إن خلـــوت بكائـــي

يتنكـــرون لكـــل دعـــوة مـــؤمن

جـــاءت تذكـــر بالأســـى والـــداءِ

عـــن أمـــةٍ شمخـــت بـــوحدة صـــفِّها

وسمـــت بحـــبِّ الله والأبـــناء

أيـــام كانـــت قـــبلةً ومـــنارةً

للفكـــر والإيمـــان والحكمـــاء

دانـــت لهـــا الدنـــيا وســـادت أعـــصراً

بالـــنابغين وخـــيرة العلمـــاء







وتـــربعت فـــوق العـــروش وفاخـــرت

بالفـــاتحين وأنـــبل الـــشهداء

والـــيوم تـــندب حظهـــا وتـــساقطت

دولاً وأضـــحت آخـــر الـــضعفاء

يـــا للعـــروبة كـــم نعـــتْ أحلامَهـــا

وبكـــتْ علـــى عهـــد الـــصمود النائـــي

حكامهـــا لبـــسوا العـــبادة واكـــتفوا

بالعـــيش بـــين كـــواعبٍ وإمـــاء

باعـــوا بـــلا خجـــلٍ تـــراث حـــضارة

وتعلَّقـــوا بـــشعائر الغـــرباء

فليرحـــم الـــتاريخ أمـــةَ يعـــربٍ

ســـقطتْ بغـــير معـــارك وعـــناء

ومـــشتْ وراء عـــدّوها مهـــزومةً

ثكلـــى. تلملـــم آخـــر الأشـــلاء

فـــإلى متـــى تبقـــى تلـــوك مـــصابها

وإلى متـــى تحـــيا بغـــير حـــياء




مناة الخير

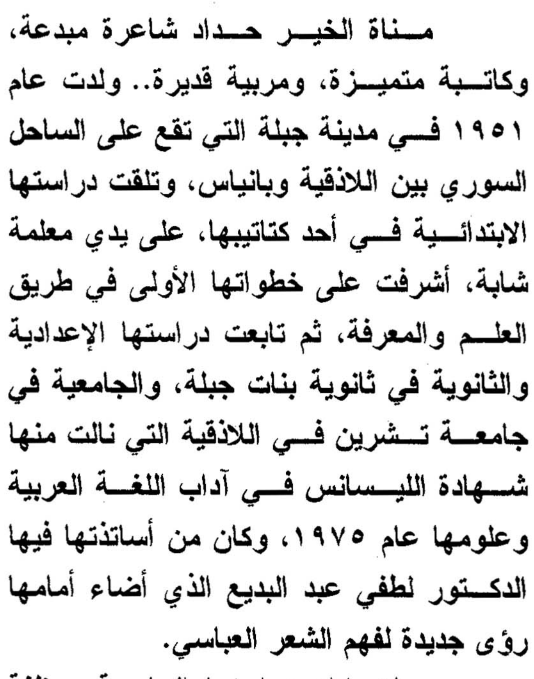
نجمة

شاعرات الساحل

المتلألئة

بقلم:

أ. عيسى فتوح



مناة الخير حداد شاعرة مبدعة، وكاتبة متميزة، ومربية قديرة.. ولدت عام ١٩٥١ في مدينة جبلة التي تقع على الساحل السوري بين اللاذقية وبانياس، وتلقت دراستها الابتدائية في أحد كتاتيبها، على يدي معلمة شابة، أشرفت على خطواتها الأولى في طريق العلم والمعرفة، ثم تابعت دراستها الإعدادية والثانوية في ثانوية بنات جبلة، والجامعية في جامعة تشرين في اللاذقية التي نالت منها شهادة الليسانس في آداب اللغة العربية وعلومها عام ١٩٧٥، وكان من أساتذتها فيها الدكتور لطفي عبد البديع الذي أضاء أمامها رؤى جديدة لفهم الشعر العباسي.

عملت إبان دراستها الجامعية موظفة في مديرية مالية اللاذقية، حيث كان يومها يبدأ من الساعة السابعة صباحاً من جبلة، وينتهي في التاسعة ليلاً موعد عودتها من الجامعة، وبعد تخرجها عملت في التدريس مدة عشرين عاماً، وانتسبت في الوقت نفسه إلى الجامعة اليسوعية في بيروت لنيل درجة الماجستير في الآداب، لكن نشوب الحرب الأهلية اللبنانية، ثم الزواج وإنجاب الأولاد حال دون تحقيق رغبتها.

بدأت رحلتها مع الكتاب والقراءة في سن مبكرة، حين اكتشفت أنه يمنحها نوافذ إضافية في بيتها الصغير، ويعطيها حيزاً مستقلاً وسط عدد كبير من الأخوة، فكانت تختلس ساعات الليل الهادئة لتقرأ فيها تحت ضوء مصباح الشارع المتسرب من النافذة، إذ يتعذر إشعال النور في غرفة يملؤها النائمون، وكثيراً ما كانت تخبئ القصص داخل كتابها المدرسي، إلى أن اكتشف والدها ذلك يوماً،

فقال لها: "تستطيعين أن تقرئي ما تشائين، ولكن في الوقت المناسب" وكان أول كتاب فتنها هو (سبعون) لميخائيل نعيمة (١٨٨٩ – ١٩٨٨).

تعترف مناة أنه كان للصيف الطويل الذي تقضيه في القرية، ولوالدها الشاعر عز الدين الخير، فضل كبير على تفتح موهبتها الشعرية، فقد كان يردد على مسامعها أشعار بدوي الجبل (١٩٠٥– ١٩٨١)، ونديم محمد (١٩٠٨– ١٩٩٤) وحامد حسن (١٩١٨– ١٩٩٩) وعمر أبو ريشة (١٩١٠– ١٩٩٠) ونزار قباني (١٩٢٣– ١٩٩٨) وبدر شاكر السياب (١٩٢٦– ١٩٦٤).. وكان لهؤلاء الشعراء الأعلام حضور في نفسها.. كما كان لزوجها المحامي سري حداد – الذي تزوجته بعد أن عاشت معه قصة حب عاصف امتد سبع سنوات، تجاوزا خلالها الكثير من المعوقات – دور إيجابي في تجربتها الشعرية.

شاركت في العديد من المهرجانات الشعرية في سورية وبعض أقطار الوطن العربي، كمهرجان المحبة في اللاذقية، ومهرجان أبي العلاء المعري في معرة النعمان، ومهرجان المزرعة في السويداء، ومهرجان أندية فتيات الشارقة عام ٢٠٠١، ومهرجان المربد في بغداد عام ٢٠٠٢، ومهرجان الرمثا في الأردن عام ٢٠٠٥.

لقد تأخرت في طباعة مجموعتها الشعرية الأولى التي غلب عليها البوح، وضمت عشرات القصائد، أهمها قصيدة (يوميات أم عاملة) التي رصدت فيها جهود الأم ومعاناتها للجمع بين واجباتها المنزلية، وعملها خارج البيت، حين يكون أطفالها صغاراً.. فالشعر في رأيها ولد مدلل، يحتاج إلى بذل الكثير من الجهد، والمزيد من الوقت الذي لم يتوافر لها إلاّ بعد أن كبر أولادها، وتركت عملها في التدريس.

تكتب وتنشر قصائدها ومقالاتها في الصحف السورية واللبنانية، ولها زاوية دائمة في جريدة (الوحدة) باللاذقية منذ عام ١٩٩٦، وتحاول في شعرها كشف العلاقة بين المرأة واللغة، وقدرتهما المتساوية على التوالد والتجدد، وكشف الدور الريادي للمرأة.

وتؤمن بأن الشعر هو ثوب روحها الداخلي الذي تستسلم فيه لهواجسها وأحلامها، فهو وحده القادر على أن يحررها من ربقة الزمان والمكان، ويطلقها في عالم النور الذي هي منه، قائلة:

هذا دمي
سكبت تراتيل الهوى
نغماتِها بوريده
لهفانَ يشهقُ للضحى المتبسم
اقرأهُ تقرأْ أولَ التكوين
ألحانَ الندى
وتفتحَ الألوانِ
في قوسِ المدى
ودمي ابيضاضُ الياسمين
وخضرةُ العشبِ الطري
ملاعبُ الأطيارِ
أحلامُ الصغارِ
موائدٌ للجائعين..

آثارها الشعرية

١– سراب الجهات – دار الحداد – اللاذقية. الطبعة الثانية – دار الينابيع – دمشق ٢٠٠٥.

٢- كاف الكمون – وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠١.
٣- يراودني الانعتاق – دار الينابيع – دمشق ٢٠٠٥.

* * *

بدأت مناة الخير تجربتها الشعرية مع الشعر العمودي، ثم انتقلت إلى شعر التفعيلة الذي هو في نظرها أرحب مدى، وأكثر سلاسة وطواعية، ومازالت تتنقل بين النوعين معاً، ولكن قصيدة النثر التي لا تزال موضع إشكال كبير، لم تستهوها، رغم إعجابها ببعض نماذجها المنفردة، وهي تجد في الموسيقى والإيقاع عنصرين مهمين لا يكتمل الشعر بدونهما، وتعتقد بأنه لا يجوز أن تقوم الحداثة على حساب الموسيقى التي هي أهم عناصر الشعر، وتلتصق بالشعر التصاق الروح بالجسد.. قد يكتب الإنسان نثراً جميلاً، ولكنها لا تراه شعراً قط.

تقول في قصيدة (رسالة عينيك) وهي في نظري من أجمل قصائدها العمودية، صوراً ورقة، وعذوبة، وخيالاً خلاقاً، وإيقاعاً موسيقياً يأخذ بمجامع القلوب:

لبست قامتي رسالةَ عينيكَ
فعادت للاشتعالِ شموعي
وارتدى القلبُ من حنانك قلباً
كارتداءِ الأشجارِ زهوَ الربيع
فإذا صوتُكَ اخضرارُ الليالي
وإذا الشوقُ حارسي وشفيعي
ليس وصلُ العشاقِ ما أرتجيه
هو عودُ الحياةِ بعد الصقيع
هو كسرٌ لقيدِ عمرٍ ثقيلٍ
رسخته الأيامُ فوق ضلوعي
قادمٌ أنتَ من جنائنِ أحلامي
موشّى بلهفةِ الممنوع
كلُ ما في حضوركَ العذبِ عذبٌ
عنفوانُ الهوى ودفءُ الخشوع
أي دربٍ رسمتَ فوق جفوني
أي شرخ في باب حصن منيع..

إن الشعر بالنسبة لها كالعطر، ولذلك تحاول أن يحمل شعرها رائحته المميزة التي هي بخور روحها، وهو رئة إضافية تستعين بها على تحمل مصاعب الحياة، وهو قدرها وهوايتها المفضلة، ومتنفسها لاستخراج الشحنات العاطفية الكثيفة التي تتولد قبل الكتابة، وهو صديقها الدائم وواحة ظليلة لنفسها، لأنه يريحها من ضغوط المادة على أرواحنا المتعبة، ويفك ربطة عنق الزمن الكالح المرابط على أبوابها..

الشعر هو بوحها للتعبير عمّا يخالج نفسها الحساسة والمرهفة من ألم، وشوق، ووجد، وحنين، وقلق واضطراب، وإحساس

بعواطــف الأمومة، كما في قصيدتها (أسرار) التي كتبتها لابنتها (أسرار):

أسرارُ.. يا زهرَ الصبا وتفتح الأحلام فوق
نوافذ العمر البعيد
يا ضحكةَ الأيامِ تبزغ في حنايا الصدرِ تمنحني
وجودي
تتمايلين..! يضوع فيك العمرُ.. ألوانُ
الفراشات الطليقهْ
وشوشات الصبحِ في أذنِ البساتينِ النديهْ
وتقهقهين.. تضج روحي بالمنى ويموج في
عينيك بحرُ
ساحرُ اللفتاتِ يحملني إلى دنيا شهيّهْ..
أسرار.. يا بعضي ومني وسطورَ عمرٍ شع
بالنعمى فصرتُ له أغني

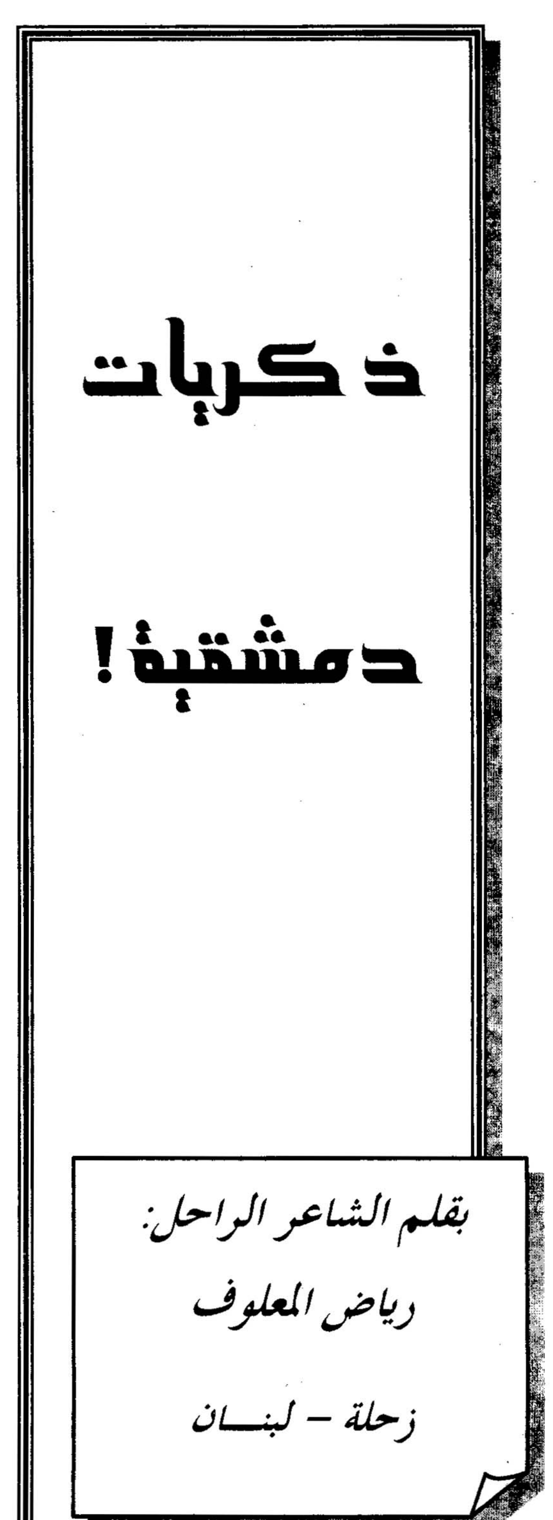
تمــتلك الــشاعرة مــناة الخير طاقةً شــعرية هائلة، وإحساساً بعيد الغور بالجمال، ولا سـيما جمــال الطبــيعة في الريف الوادع النقــي، وموهــبة فطــرية قل نظيرها، نمتها بالدربة والدراسة والمطالعة والمران، فشعرها لــم يأت من فراغ، بل من حصيلة الجد والدأب والاجــتهاد، فقــد تعــبت على تثقيف نفسها، وإغناء تجربتها، وسهرت الليالي وهي تختزن الــصور والــرؤى والأفكــار والألوان، وتعيد صياغتها من جديد في شعرها..

نقرؤها فنحس بأننا نقرأ لبدوي الجبل، وحامد حسن اللذين تأثرت بجماليتهما الأخّاذة، وصــورهما المــبدعة، وموسيقاهما الشعرية الــرائعة التــي تحملنا إلى عالم سحري مليء بالفــتون.. وهــل أجمل من قولها في وصف جمال الطبيعة في مصيف (صلنفة):

هل رأيتَ الغيمَ يأتي يشرب القوةَ في الشرفات
صبحاً
ثم يمشي بين أحراجِ الصنوبرْ؟
وضباباً كدبيبِ الهمسِ يعبرْ
يلج الأبوابَ والأعتابَ يرخي شاله الأبيضْ
في سما الوديانِ يختال نديا؟!
أم رأيتَ الأرضَ أكنافاً من الخضرةِ تحبو
في مدى الزرقةِ والأفقُ عصافيرٌ
تخيط الضوءَ موالاً شجيا؟!
يتثنى الليل في الطرقاتِ نشوانَ يغني
ويجيء الصبح مسحوراً فيصحو العطرُ
والألوانُ والأنسامُ كوناً سندسياً؟!

تعتــرف مناة بتأثير طبيعة الريف في شــعرها حين تقول: "أنا أنتمي إلى برج التراب والمــاء، فالبيــئة الريفية التي تتشكل من هذه العناصــر تركت بصماتها واضحة في كتاباتي، فأنــا في أحيان كثيرة أشعر بأنني شجرة تعرى وتــورق، تزهــر وتثمــر، تــذبل وتنتعش.. وإحــساسي بهــذا الانــتماء إلى الطبيعة، إلى البحــر كأحد مخلوقاته، أو إلى التراب، يكسب مــا أكتــبه بعض خصائص هذه البيئة، ويجعل مفرداتــي مــضمخة برذاذ البحر حيناً، وعبق التراب أحياناً".

لا أبالــغ إذا قلــت إن الــشاعرة مناة الخيــر هي نسيج وحدها بين شاعرات الساحل السوري كنبيهة حداد، وفاطمة حداد، وعزيزة هــارون، وهــند هــارون، وقد استطاعت أن تتخطاهن جميعاً، بما أوتيت من موهبة خارقة، وثقافة عميقة، وشاعرية خصبة، وقدرة فائقة علــى نظم الشعر العمودي وشعر التفعيلة على حد سواء.



لي ذكريات وذكرياتٌ كثيرة بدمشق لا تنسى..

حيث سكناها في العشرينات وحيث سيدي الوالد العلاّمة والمؤرّخ عيسى اسكندر المعلوف كان عضواً مؤسساً في مجمع اللغة العربية فيها. توالى على رئاسة المجمع وعضويته زمن الحكومة الفيصلية العديد من العلماء مثل: محمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي، وفارس الخوري وعارف النكدي وعدنان الخطيب والدكتور مرشد خاطر وأحمد الجندي وشفيق جبري، وكان من حظي أنني عرفتهم جميعهم.

وعلى ما أذكر أن والدي الحبيب - رحمات الله عليه - أخبرني أن أحدهم وهو من آل ستي، جاء إلى المجمع يومئذٍ هاجياً بقصيدةٍ راح يقرأها علناً في المجمع، فامتعض والدي وطلب من رئيس المجمع يومذاك الأستاذ كرد علي لكي يتصدّى للهاجي ويسكتهُ فلم يفعل، فأنسحب والدي إلى الغرفة المجاورة للجلسة ونظم هذين البيتين، راداً بهما على الهاجي السيّد ستيّ:

يتحاشى المجمع العلمي عما
نسبتَ إليه من زورٍ وبهتٍ..
أرى التحريف دأبكَ دون شك
أما عرفْتَ سيدتي بستّي؟!

وأذكر أنني تتلمذتُ بمدرسة الآسية للبطريركية الأرثوذكسية حيث سيدي الوالد الحبيب كان يدرّس فيها، ثم انتقلت إلى مدرسة اللعازارية بباب توما وحدث لي حادث طريف فيها حيث أنه أثناء دراستي تغيّر أحد الكهنة الأساتذة براهب آخر قيل إنه لا يحب سوى طائفته المارونية، وبما أنني أرثوذكسي نبهني

أحد رفاقي للاحتياط للأمر وعندما دخلنا إلى قاعة الدرس وكما جرت العادة بالصلاة في بدء الدراسة تراجعتُ إلى المقاعد الورائية لكي لا يلاحظ أنني أصلّب بالأصابع الثلاثة وليس بالخمسة كما يصلّب الموارنة، فافتتح صلاته باسم الآب والإبن والروح القدس واستدعاني إلى الصف الأمامي فتوجفت من ذلك وعلى ما يظهر أنه كان صديقاً لوالدي، وعندما رآني أصلّب بالخمسة صاح بي قائلاً: على هالذقن يا معلوف!.. وكدنا نضحك جميعاً لولا حرمة الصلاة!

وكان من رفاقي في مدرستي الآسية واللعازارية المحامي والوزير السابق الأستاذ سهيل الخوري نجل دولة الأستاذ فارس الخوري، وكان متقد الذكاء كوالده رحمهما الله..!

ومن لطائف ذكريات دمشق تلك النزه الشيّقة زمن الصيف إلى: دمر، والهامة، والشاذروان، والربوة وهذا المنتزه الأخير كنا نؤمهُ يوم الجمعة عادةً يوم العطلة وكان والدي يفضّلهُ على غيره لقربه من المدينة ولكثرة الأصحاب والمعارف فيه حيث يتصاعد دخان شيّ اللحوم، وأنفاس النارجيلة على ضفة بردى وتبادل الأنخاب بين الأصحاب والأحباب!

والطريف في الأمر أنني كنت أذهب لجلب عربة الخيول المطهمة من شركة أبو شنب للعربات في باب شرقي، وكان محلي الدائم قرب سائق العربية والعربجي الذي كان يصيح بالأولاد الذين يتعلّقون بخلفية العربية يا ولد.. يا ولد.. ويضربهم بالكرباج..

رعى الله تلك الأيام العذبة الذكريات والنزهات..

وهل ننسى جنينة الأفندي في باب توما حيث كنا نقضي نهارنا فيها والرسم على الكرسي كأن البرغوت الفضي الكبير ونجلب معنا الأكل من المنزل إليها وينتفع صاحبها بالقهوة والنارجيلة وببعض أطباق الضفادع الشهية والمقلية مع حباحب الثوم كالقطع الذهبية مما يثير البطنة والتشهّي! ناهيك عن مناعم المائدة وفجل الغوطة ونعنعها وبقدونسها ولا تسل عن (التبولة) التي كان يطيب التهامها.. بعدما تلامسها أنامل الحسناوات الشاميات! وعندما إحداهنَّ تلقمكَ لقمةً منها.. تكاد تلتهم أصابعها.. معها..

فأين نحن اليوم من تلك الأسعار القريبة من جيوبنا والمحببة إلينا.. من أسعار هذه الأيام بالدولار كالنار.. ومع صعوده وهبوطه.. تهبط قلوبنا..

ولستُ ناسياً أبدا منازلنا العديدة بدمشق في أحياء: سفل التلة، وباب توما، والقصاع وهذا الأخير استأجرناه من آل الحزّي (وأظن أنه قرب منزل أديبتنا الشهيرة السيدة كوليت الخوري حالياً) والقيمرية وهذا كان تحته فرن يجيد صناعة الرغيف الدمشقي الزكي الرائحة وعلى خدّه المحمرّ كخد الحسناء.. حبيبات البركة الطيبة.. وفي أيامنا هذه نركض وراء رغيفنا اليومي.. فيهرب منا.. وضاعت منه البركة..!

وفي الصيف والربيع كانت تطيب النزهة ما بين حرستا حيث كنا نتجه إليها بالحافلة (التراموي) ونقطف من بساتينها الخصبة قرونها الخضراء المختزنة طراوة الربيع وخصبه.. ونقضمها بنهم ولذة! أما حبّ الآس (الحبلاس) فحدّث عنه ولا حرج..

فحبّاته هي كحبّات اللآلئ..! على أصابع الغصون وخواتمها.. ولا تسل عن نكهته وذوبانه في الفم.. كذوبان القبل في فم الحبيب المشتاق!

ومن زوارنا في تلك الحقبة الأساتذة العلماء محمد كرد علي، والشيخ عبد القادر المغربي، وخليل مردم بك، والقاضي موسى مالك، وفارس الخوري، وفائز الخوري، وأحمد الجندي، والمحامي ناصيف أبي زيد، عارف النكدي والدكتور مرشد خاطر والصحافي يوسف العيسى صاحب ألف باء الجريدة الدمشقية.

أما الخطاط نجيب الهواويني خطاط الملوك، فقد درستُ عليه الخط عندما كان يزورنا وفي خزانة - عيسى اسكندر المعلوف بزحلة - عندنا منه العديد من الآيات بخطه الفارسي والثلثي الرائع! ولا أنساه أبداً بثوبه الأسود كالرؤساء وطربوشه الأحمر الفاقع اللون والأنيق! ودواته النحاسية التي يختزن فيها الياقة المليئة بالحبر الصيني الأسود وأقلام الغزار والتي يبري رؤوسها بدقة ولباقة حتى تصبح كمناقير العصافير.. وكذلك لم نزل نحتفظ بمكتبتنا المعلوفية ببعض الآيات العربية بخط الخطاط الدمشقي بدوي المشهور.

وأذكر عن أخي الشاعر فوزي المعلوف شاعر ملحمة على بساط الريح كان سكرتير عميد الجامعة السورية بدمشق الأستاذ رضا سعيد، وأخي الشاعر شفيق المعلوف شاعر ملحمة عبقر حرر بجريدة - ألف باء - وكان يمضي باسمٍ مستعارٍ - أحدهم - أو - صموت - وكان له يومياً زاوية (مباءة نحل) قطعة انتقادية في الصفحة الأولى من ألف باء، ولربما أيضاً أنه توظّف بالمجلس النيابي يومئذ والله أعلم.

وبعد انتقالنا إلى زحلة ظللتَ على صلة بأكثر الأصدقاء الدمشقيين يومذاك والصحافيين منهم حيث كان يطلب بعض شعري لنشره بالصحف الدمشقية مثل: الأيام، القبس، الجزيرة، ألف باء، مجلة الطليعة والمعرفة ومجلة مجمع اللغة العربية وجريدة De Damas الفرنسية وفيها نشرت شعري بالفرنسية لصاحبها جورج فارس والد المرحوم الصحافي مراسل إذاعة مونتي كارلو لويس فارس، وكان يحرر فيها أيضاً الأديب بالفرنسية ريمون لوار وأمّهُ دمشقية ووالده فرنسي والذي عاش مع عائلته ما بين دمشق وبيروت، ولريمون لوار بالفرنسية Contes de L'orient أقاصيص من الشرق وذكرني في بعض مؤلفاته ومحاضراته وذكر شعري ومؤلفاتي بالفرنسية والتي نشرت بباريس منذ سنة ١٩٣٩ حتى ١٩٥٦ ومنها: تلوين، مسامير العاج، الفراشات البيضاء، وحبّات رمال والعصفور الأعمى وشعراء الخمرة والمرأة عند العرب.

ودعيتُ إلى حفلة رثاء رئيس عصبة العمل القومي الأستاذ المحامي الدندشي لإلقاء قصيدة باسم لبنان وقُرر إقامة هذه الحفلة بجنينة بلدية حمص فطوقت الجنينة بالعسكر السينغالي الملحق بجيش الانتداب الفرنسي، فاضطررنا لإقامتها في جامع خالد بن الوليد حيث أيضاً حوصرنا بالسينغاليين وكان من الخطباء الصحافي نجيب الريس على ما أذكر صاحب جريدة القبس ورئيس البلدية من آل الأتاسي وغيرهما، وكانت برعاية الرئيس

هاشم الأتاسي وحضوره وبحضور الزعماء والوزراء فارس الخوري وإبراهيم هنانو وفوزي الغزي وغيرهم، وخرجنا من هذه الحفلة تحت رؤوس الحراب والبنادق!

ثم دعيتُ إلى حفلة إحياء ذكرى الشاعر المتنبي بحلب مع خالي الشاعر قيصر المعلوف صاحب قصيدة (رُلى عرب قصورهم الخيام) لتمثيل لبنان بقصيدتين بالمتنبي وشاعريته وكنا موفقين على ما يظهر وتسابق الأدباء والشعراء والوجهاء لتكريمنا وبينهم الصحافي الأستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد والصحافي سعيد فريحة الذي أصبح فيما بعد صاحب دار الصيّاد وجريدة الأنوار البيروتية وعدة صحف ومجلات، وأقيمت لنا حفلات تكريمية دلت على سخاء الحلبيين وكرمهم وضيافتهم حيث كانت تختتم الجلسات الممتعة هذه برقصة السماح الشهيرة ترافقها أصوات الساهرين والساهرات بالأصوات الحلبية المشتهرة الجميلة..! حتى إطلالة الفجر..

أما كروم الفستق في الليالي المقمرة فحدّث عنها ولا حرج.. وفيها كنا نسمع طقطقة انفلاق قشرتي الفستقة كمنقر العصفور المزقزق والمغرّد طرباً.. ليطربنا ويزيدنا اشتهاءً لتلمظ هذه الحبيبات المدورة كالقلوب! وإحدى الحسناوات الرائعات أهدتني فستقةً.. فأوحت لي الأبيات التالية:

ما أطيبَ الفستقه
من كفّها المونقه..
كأنما قلبها
أهدتهُ لي مشفقهْ!
لأنني معجبٌ
بالطلعة المشرقهْ
لؤلؤةٌ يا ترى
أصدافها مطبقهْ..
أم أنها منقرٌ
في صمتهِ الزقزقه!
أم قبلةٌ حَرّة
من فمها محرقهْ..
فستقةٌ ثغرها
ما أطيبَ الفستقهْ!

أما الراقصات الكواعبْ اللواعب.. بالقدود والخصور اللواتي يتمايلنَ بها كالأراجيح! وعلى صدورهنَّ القطع الفضية والذهبية متراقصة مطقطقة مع - القدود الحلبية - والنغمات الموسيقية وذلك مما أوحى لي هذه القصيدة - إلى راقصة شرقية - والتي يطرب لها كثيراً صديقي المحامي والصحافي الأستاذ باسم الجسر حتى إنه حفظها وكلما التقيتُهُ أسمعنْي إياها:

ميدي مع الألحان ميدي
بقوامكِ اللدن الفريدِ
ساقٌ أخفّ من الجناح
إذا تأهب للصعودِ..
ساقٌ تروضها اللحون
برغم منشئها العنيدِ

سرحْتُ طرفي في مداك
وفي تماديكِ الشرودَ..
فتعثرت عيني بخطوكِ
في القصيّ من الحدود
بحياةِ خصركِ ميليه
على قوامكِ واستعيدي
عهداً مضى من سالف الأيـ
ـام في زمن الرشيدِ..
عهد القيان السمر ترفل
بالدمقس وبالعقود
عهد النواسيّ النديم
بمجلس الملك العميد
فتراقصي وتمايلي
حتى النهاية واستزيديّ!
ما أنتِ إلاّ بهجةٌ
للعين بل أفراح عيدِ..
وبك التفاف الغصن فوق
الغصن مع ثمر النهودِ
وتلاطم الأمواج بالأموا
ج في النوء الشديدِ..
ساقٌ بدت في القرب
لكن ألف ساقٍ من بعيدِ..

ودعيت مراراً منذ الخمسينات إلى إلقاء منتخبات من شعري بإذاعة دمشق خاصةً بزمن إدارة الأستاذ أحمد عسّه وغيره.

وفي الثمانينات والتسعينات خصني الصديق النبيل والأديب الألمعي الأمير يحيى الشهابي ببرنامج خاص عن شعري في - دوحة الشعر - مع الموسيقى التعبيرية وبصوته البديع الذي يعطي قوافي الشعر بهجةً وروعةً تستلب الآذان والقلوب!

أما الصديق والأديب اللوذعي الأستاذ فؤاد الشائب فكم زرته بدمشق وزارني بزحلة وأخذ مني القصائد ونشرها بمجلة (المعرفة) التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد القومي والذي كان مديرها رحمه الله..

وفي الختام لا يسعني إلاّ ذكر هذه البرقية المرسلة من دولة فارس الخوري إلى سيدتي الوالدة الحنون يوم وفاة سيدي الوالد الحبيب العلاّمة عيسى اسكندر المعلوف وفيها دلائل الصداقة الحميمة العريقة ما بين الزميلين في مجامع اللغة العربية، وهذه البرقية كلما قرأتها اهتز لها قلبي ودمعت عيني:

عدتُ من سفر طويل في أوروبا فوجدتُ بالأسف الشديد برقيتكم تنعي أستاذنا الكبير وعالمنا القدير الشيخ الجليل زوجكِ المأسوف عليه كثيراً ووالد أنجالك البارزين وهم نوابغ العصر ومفاخر الأمة العربية، وكما هو خالدٌ بأبنائه بما لهُ ولهم من روائع الآثار ورواسخ الذكريات في المواطنين في أقطارهم المترامية.

(بلودان ٣ آب ١٩٥٦ فارس الخوري)



انتظار..

شعر: مدحة عكاش

فِي مفـرَقِ الـدَّربِ وحـدي بِـتُّ أنتظـرُ
واللَّــيلُ عَــسْعَسَ لا نــورٌ ولا قمَــرُ

وكــيف أشــتاقُ نــوراً لا يــشعُّ سَــنيً
كمـــا يـــشعُّ بعينـــيكِ، ويزدَهِـــرُ

ولَفَّـــني اللَّـــيلُ في ظلمائـــهِ، وغَـــدَتْ
تجـولُ في خاطـري الأوهـامُ والفِكَـرُ

وكُلَّمـــا لاحَ في الظلمـــاءِ لـــي شَـــبَحٌ
أقـولُ: يـا قلـبُ! هـذي كـنتَ تنتَظِـرُ

حـسناءُ! لا تحـسبي إنْ غبـتِ عـن بـصري
تغـيبُ عـن خاطـري الأحـلامُ والذِّكَـرُ

كـم مـرتعٌ ضَـمَّنا نلهـو بـساحتِهِ
وراحَ يحـنو علينـا الغـصنُ والزَّهَـرُ

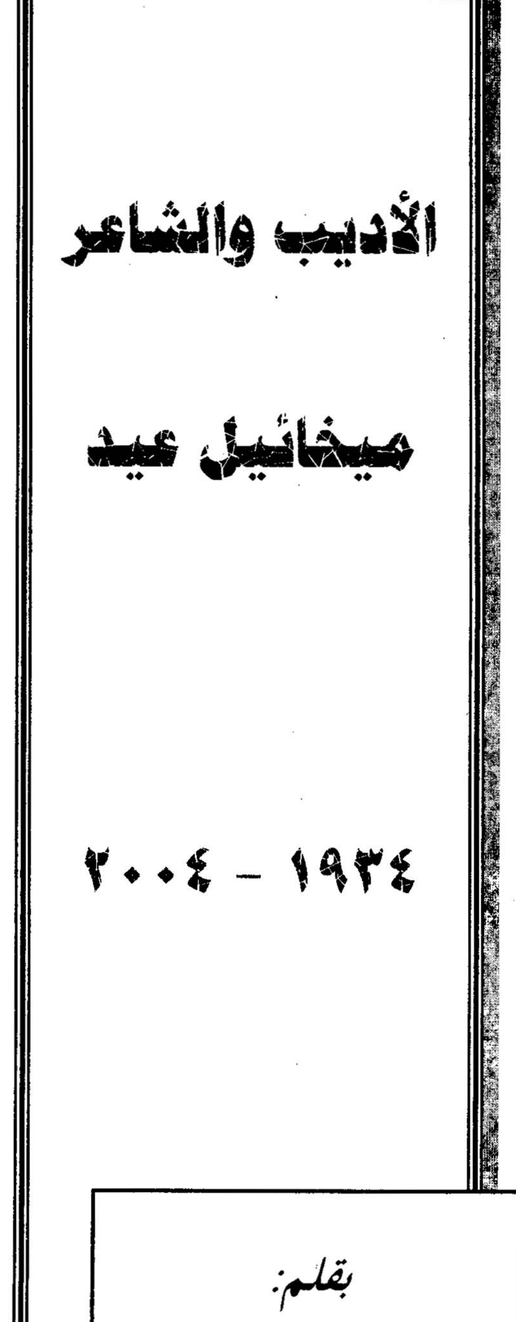
وكـم تحـدَّثَ قلـبانا بمـا لَقِـيَا
وكـم تكلَّـمَ عـن أشـجاننا النَّظَـرُ

أيقظـتِ في مهجـتي إحـساسَها فَـشَدا
في كـلِّ جارحـةٍ مـن مهجـتي وَتَـرُ

واليـومَ، حـسناءُ! مـا أنـساكِ مـوعدَنا؟
حملْـتِ قلـبيَ مـا لا يحمـلُ البَـشَرُ







الأديب والشاعر

ميخائيل عيد

١٩٣٤ - ٢٠٠٤

بقلم:

يوسف عبد الأحد

في السادس عشر من شهر كانون الأول سنة ٢٠٠٤.

توقف قلبه عن الخفقان إلى الأبد بعد معاناة مع المرض الذي لم يمهله سوى بضعة أشهر قليلة، وبرحيله ترك فراغاً كبيراً في الساحة الأدبية.

كان طيب القلب وإنسانياً لأبعد الحدود ومثالاً للمروءة والشهامة والأريحية والشفافية، يندفع برغبة صادقة لتقديم خدماته لكل من يقصده في أمر ما، بلطف وتواضع جم وابتسامة مشرقة وطيبة خاطر.

ومهما عددنا مناقبه وأعماله الجليلة فإننا لا نفيه حقه.

كان يتمتع بمواهب عدة في مختلف الأنواع الأدبية، الشعر باللغة الفصحى والعامية، والقصة القصيرة والترجمة للأطفال، وله باع طويل في النقد البنّاء وقام بترجمة مجموعة من الكتب لكبار الأدباء البلغار إلى اللغة العربية فلاقت هذه الأعمال استحساناً ورواجاً منقطعي النظير.

مولده ونشأته وأدبه

ولد الأديب ميخائيل عيد في قرية (مشتى الحلو) من محافظة طرطوس في الخامس والعشرين من شهر تموز عام ١٩٣٤

تلقى دراسته الأولى في مدرسة القرية، ثم تابع تحصيله الثانوي، وبعدها درس اللغة البلغارية والفلسفة والاقتصاد السياسي وتخرج من جامعة صوفيا في بلغاريا.

بدأ العلم في مستهل حياته طيّاناً في الورشات السورية واللبنانية لفترة غير قليلة، ثم عمل في حقل التدريس، إضافة إلى ذلك مارس العمل الصحفي وكان محرراً في مجلة (الطريق إلى الاشتراكية) التي كانت تصدر في دمشق.

لقد بدأ بالنشر في أوائل الستينيات وصدر له أول ديوان زجلي عام ١٩٧٠ بعنوان (حكايات وغناني) وقرّظه آنذاك الأديب

الأردنـــي الدكتور عيسى الناعوري (١٩١٨ - ١٩٨٥) قال:

"حلـــوة أغاني الريف، ولا سيما حين تنـــبعث مـــن القلـــب ملـــونةً بكل ألوان البحر والـــسماء، والفجـــر والمساء، والدروب التي يـــسهر القمر على مشاويرها، وتذهّب الشمس خطـــى صـــباياها وشبابها، والضباب البخوري اللون، يتصاعد من لهوات الوديان العميقة".

يتحدث ميخائيل باللهجة اللبنانية وبها يكـــتب أزجالـــه، فتأتـــي الكلمـــات عفوية لها مـــضمون إنـــساني واجتماعي، عابقة بالأريج الحلو والجمال الدافئ.

وصـــدر لـــه ديوان زجلي ثان بعنوان (ورقـــات مـــن دفتر عمر) سنة ١٩٨٠ ولاقى إقـــبالاً ورواجـــاً منقطعي النظير من قبل النقاد والكتاب.

واهـــتم الأديب ميخائيل بأدب الأطفال فتـــرجم مجموعات قصصية عن البلغارية إلى العربية نذكر منها الكتب التالية:

الـــشموس الثلاث عام ١٩٧٦، دموع العـــصفورة ذات الجناحـــين الفضيين ١٩٧٧، الأرنب قصير الأذن ١٩٧٨، جبل الدر ١٩٧٩، المـــزمار القـــصبي ١٩٧٩، والمفتاح الفضي ١٩٨٣.

جاءت هذه القصص المتنوعة بسيطة فـــي مـــضمونها ولغـــتها، أبطالها من الطيور والحـــيوانات المألـــوفة لوعي الطفل واجتذاب انتـــباهه.. أبطـــال قـــادرون على تكوين النمو الفكري عند الطفل.

وصـــدر لـــــه ديـــوان شعري باللغة الفـــصحى مـــن الشعر الحديث بعنوان (سفر) صدر عام ١٩٧٧ وكتب قصائده ما بينٍ عامي ١٩٥٦ و ١٩٧٣ وجاء في مقدمته قائلا:

أيها الكون الرحب
أنت تملأ رأسي بالصور
تلهمني أن أغني جمال الحياة
حياة الإنسان المكافح
وحين أسألك أن تلهمني
كل أغانيك العذبة
تبتسم بحنان:
غنّ قدر ما تستطيع
أما كل أغاني فلا أحفظها.

جاءت قصائد الديوان بسيطة المعاني، واضـــحة الأفكار، وأظهرته شاعر قضية، جند شـــعره للدفاع عن الكادحين من الناس، وجعل نفـــسه شاعرهم يتحدث باسمهم عن قضاياهم العادلة.

كمـــا أولـــى اهتماماً كبيراً لنقل أعمال كـــبار الكتاب والشعراء البلغار إلى لغة الضاد نذكر منها الكتب التالية:

(آل غـــرياك) قـــصص لإيلـــين بيلين، مطـــاردو الوظـــيفة، مسرحية اجتماعية لإيفان فازوف، ملاحم الجبال الهرمة، قصص ليوردان يوفكـــوف، (أبطـــال وطـــباع) مقالات في النقد والنقد المقارن، (قولي لهم يا أماه أن يتذكروا) قصص لغينو غينوف.

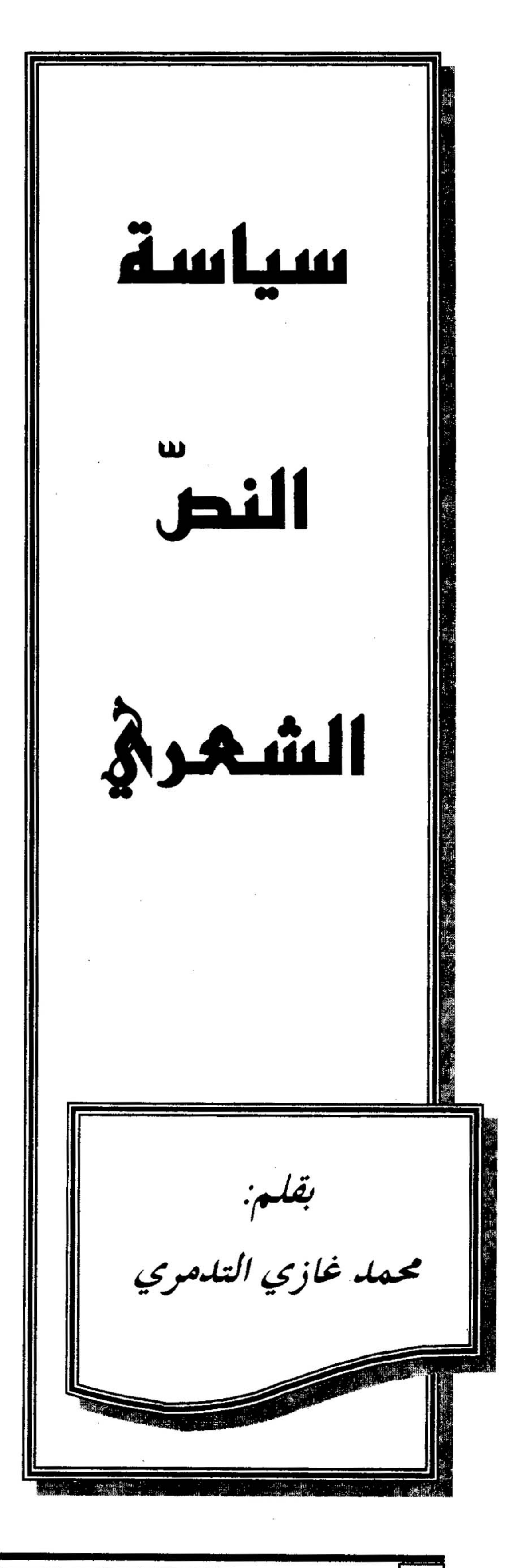
و(لا إياب)، شعر لبيتر اندا ساروف.

وتـــرجم مجموعة من قصائد الشاعر الداغـــستاني (رسول حمزاتوف) ومن قصائده المشهورة قصيدة (حان رحيلي).

نقتطف منها هذه المقطوعة:

إنه وقتُ رحيلي يا حبيبتي
لن آخذ شيئاً
سأترك أغاني الفرح
التي يغنيها الزرزور صباحاً
سأترك الليالي القمراء والنسيم
والأزهار بين الأعشاب
وهدير البحار الرحبة
ودويّ السيل العرم
أيتها المرأة
أنت أقوى منا جميعاً
أنت قدِيسة القرن العشرين
أنكِ على عربة رباعية.

إن تـــرجمات الأدَيـــب ميخائـــيل عيد النثرية والشعرية كانت موفقة لأنه حافظ بدقة علـــى روح الكاتب أو الشاعر فجاءَت تعابيره تنـــبض بالحـــيوية وتـــدخل إلى أعماق النفس لصفائها وبساطتها دون استئذان.



سياسة النصّ الشعري

بقلم:
محمد غازي التدمري

الشعر في مجابهة الواقع، وما يتمخض عنه من منجزات حضارية، ومفرزات مادية، حالة استثنائية خاصة، بأبعادها الفنية، ومنطوقها اللفظي، وخطابها الدلالي وشغلها التقني.

والقصيدة في هذا المنظار هزّة انتزاعية استلابية، تسلب من المتلقي شيئاً ما، قد لا يستطيع تحديده، ولكنه يحسّ به لقربه من وعيه الذي تبغيه القصيدة الأنموذج في حالة تأهب، وتوتر دائمين، تدفع النفس المتلقية لأن تلج عالم القصيدة من الباب الضيق جداً، حيث تبدأ حركة تأزمها الفعلي والانفعالي، بالمواجهة الصدامية بين القصيدة بتكوين إيقاعاتها الداخلية، وأنساقها الخارجية، والمتلقي بمؤهلاته وحياديته، وغالباً ما تأتي نتائج مثل هذه المجابهة في صالح الشعر قبل النقد.

ومن هنا فإن الولوج إلى تراكيبية النص الشعري، يجب أن تتم بمنأى عن الهوى، والميل والعاطفة، لا سيما أن أي تكوين بنيوي سليم للنص الشعري لا يمكنه أن يتأصل ويترسم بعيداً عن الوعي النقدي القادر على النفوذ إلى عمق ملفوظية النص كوحدة فنية كلـيّة، وذلك عن طريق مقابلة صدامية حادة، تملك جرأة الاقتحام التي تبدأ باللغة وتنتهي باللغة أيضاً، عبر ممرات الإدهاش المصحوب بالإثارة المؤدية إلى دفع تحريكي تحريضي، يصل إلى الرغبة المُقنعة والقانعة في المجابهة، ضمن أُطر يُحددها العلم قبل التذوق وتفرضها الحيادية والأمانة المنهجية قبل الجري وراء الهوى، وأي قرار أو حكم

يأتي بعد هذه الميكانيكية الهندسية الواعية، هو في صالح الشعر والنقد على حد سواء.

إن الشعر كمصطلح ورؤية.. وواقع.. وفعل هو من الشعور الذي تكوّنه جملة آفاق مسكونة بالإيحاء، والحافز، والإلهام، والتدفق، وحسابات النقد وحِرَفية العروض، وآراء النحاة، فهو العالم الأشمل والأوسع المستوعب للشعر كحركة تأريخية وحضارة، وديوان أمة وشعب في زمان ومكان محددين. والقصيدة على الرغم من أنها جزء من هذا العالم الكبير، إنما يشكل هذا الجزء الحياة برمتها، حياة الشاعر، التجربة، المكان، الحالة والإحالة.

إنه العالم الأصغر حجماً، والأوسع تعبيراً ودلالة، تُشكّله التجربة الحياتية الفعلية والانفعالية، فهو الأساس في تكوين الشاعر، ومن جميع هذه الأجزاء يتشكل عالم الشعر، وتتأطر حركته عبر الزمان والمكان.

فالقصيدة بؤرة العطاء والبناء في الشعر الذي تشكّله مقدّمات وأسباب القصائد المتفرقة، إنه عالم محدد البعد والأبعاد، والاتجاه والهويّة، أما الشعر فهو العالم المفتوح على الكليات المتجمّعة التي تفرزها القصائد مجتمعة أو متفرقة،ولذلك فإن الشاعر قد يمنهج حياته وتجربته في قصيدة واحدة، وبالتالي فإن الشعر يمنهج الشاعر.. والزمان، والمكان، في تجربة شعرية كليّة.

ومن هنا فإنّ القصيدة على الرغم من جزئيتها، هي الأصل الذي تُبنى على أساسه عوالم الشعر كلّه، والسبب في ذلك يعود إلى أن القصيدة وهي تتوالد من رحم معاناة الشاعر، تتحوّل إلى مصدرٍ أمين وموثوق لمرحلة هامة من مراحل حيات الشاعر، وأنها الحالة المعيشة المؤرخة لفترة أو مرحلة، تشكل لبنة أساسية في تكوين التجربة الشعرية الكليّة، فهي معيارٌ أساسيٌّ في التجربة الإبداعية والإيحائية والأسلوبية، لأنها تشكل بنية شاملة وجامعة لتجربة فنية، هي جزء من عمر الشاعر، ومن مجموع هذه التجارب تتهيكل تجربة الشعر لدى أي شاعر.

في قصيدة للشاعر (أحمد دوغان) بعنوان (وجه يومي ومدارات الحلم) تكرر الفعل المضارع فيها ثلاثاً وأربعين مرة، حملت أنساق الدلالة المسندة إلى ضمائر تباينت واختلفت بنسبة الدلالات الإشارية المرتبطة بالداخل المشحون بالمعاناة الصعبة، التي تمحورت صورها داخل وخارج حركات القصيدة، فارتبطت بمساحة تحوّل كينوني غير حتمي، أو آيل إلى صيرورة ترغب النفس بها، فبقيت مجرد تصوير خارجي لمعاناة نفسي داخل الشعر نفسه:

هي الفسحةُ المشتهاة
نفكر.. في الحلم يأتي السؤال
بحجم الهموم يكون المكان
بحجم الطيوف تكون الحياة
يباغتني وجه يومي
يقاسمني الليل.. والبوح
والسرّ حتى النعاس

إلى آخر أفعال الكينونة التي اختلطت فيها دلالة الإحالة النفسية الراغبة في التحوّل خارج النص، مع الإشارات الخاصة بالزمان والمكان،

والمساحة الشعورية داخل النص، دون أن تُسقط مستلزمات الحالتين من صحوٍ وتطلّع.

إن مثل هذه الأفعال في داخل النص تشكله حالة انفعالية نفسية تستقطب الخطاب القادم من عالم داخلي إلى عالم خارجي، بمعنى آخر: هي وظيفة أساسية في تأسيس سياسة النص بتوظيف الأنا المسكونة بالتطلع والرغبة في التحوّل إلى الآخر المسكون بالهم والمعاناة المتأزمة، وهذا الخطاب لم يجد من أداة توصيل غير دلالات الفعل المضارع الذي شكّل حالة زمنية من ماضٍ نفسي مُتعب إلى حاضرٍ معيشي كينوني غير حتمي:

يُفاجئني شكل يومي
فأعلن أن الهموم
تقاسمني النور حتى النّعاس
ولكن سيبقى من الليل جزء
هو الفجر.. والفسحة المشتهاة
هو الكون يعشق هذي الحياة

إن الخطاب يؤكد عمق الحالة التي يُعاني منها الواقع المعيش، وهذه الحالة انعكست تصويراً متحركاً، داخل النص على قواسم مشتركة بين الهموم والنور والنعاس والليل، ثم يأتي الفجر.. الفسحة المشتهاة، ويأتي الكون عاشق الحياة، ليلف الانفعالات في إطارٍ تسجيلي تتقاسمه الصور وأنساق الأفعال المضارعة.

حتى الفعل (يفاجئني) الذي حمل عنصر الإدهاش، فإنه بقي ضمن إطار ترسيمي توظيفي خارجي،لأن القول الشعري، مرتكز أساساً على مدار الخطاب الحلمي الذي أعلن مواقفه على شكل مراهنة صوتية بين الحلم والصحو، كان من نتيجتها الاستيقاظ على مدارات صراع الرصيف:

وفي الحلم أشدو
أراهن كلّ المسافات إني براق
ويوقظني في الرهان صراع الرصيف

هذه الاختلاطات بين الحلم والصحو، تشكل قاسماً مشتركاً بين حدود أبعاد الداخل والخارج.. الأنا والآخر.. النور والظلمة، ولذلك تحوّل الفعل إلى هاجس نفسي وانفعالي له ارتكازاته الخاصة بمعاناة الشعر الداخلية، وبما يتأزم في الفسحة المكانية الخارجية التي يشغلها الشاعر في الواقع المعيش خارجياً، ولذلك ارتبطت هذه الأنساق جميعها بالضمير الجمعي (نحن): "نحن نفكر في الحلم يأتي السؤال"، ثم تفرّعت الأنساق على ما بك الضمير المتكلم (أنا): "أغمض، أراه، أحاول، أسأل، أصحو، أرنو، أفيق، أبقى، أطلق، أشدو، أعلى" وعلى مناحي أبعاد ودلالات الضمير الغائب (هو): "يعون، يكابد، يأتي، يكون، يغازل، يملأ" ثم أبعاد الضمير الأنثوي الغائب (هي): "هي الفسحة المشتهاة، تكون الحياة، تسكن موج العيون".

فالخطاب هاجس نفسي وشعوري يخرج من الأنا إلى الآخر، الذي من الممكن أن يكون: هو أو هي.. لا فرق مادامت هوية الخطاب مرتبطة بتسييس أنساق الكينونة داخل النص نفسه: "بحجم الطيوب تكون الحياة، بحجم الهموم يكون المكان" وعلى أساس هذه السياسة التوظيفية في محاول النص الشعري بقي محور الكينونة مجرد تساؤل ذاتي، لم يعط الانفعال فسحة لأن يتحوّل إلى صيرورة ما، لأن حجم السؤال والتساؤل، غطّى مساحة القصيدة، ولم يُعطِ جوّها الداخلي تلك الفرصة التي تعُينُ القول على تخطي الحدود

المرسومة بشكل قسري لا مبرر له، ومن هنا فإن أنساق الملفوظية في سياق النص الشعري الحديث، إذا لم تؤدِ غرضاً محدداً ومعيناً، بقيت مجرد ملفوظية عائمة في جواء النص، حتى أنها من الممكن أن تكون عبئاً على النص ذاته الذي لا تقاس قيمه الإشارية والدلالية بطوله أو بعدد أسطره، أو بإيقاعه الخارجي بقدر ما يقاس بعمقه وبقدرة الشاعر على تسييس ألفاظه في سياقات القول الشعري المشحون بالإيحاء والدهشة التي تستوقف المتلقي ولو للحظات:

لكني مازلت أغني

أنت النهر وأنا الظامئ يا وطناً

يتجسّد جسدي

يسكنني عذْباً وملوحة خبز

ويعانق أحلام صغاري

يا فاتنة الوقت: اقتربي.. ابتعدي

ليلاي تقابلني

نقتسم الزاد، بحجم الهم نكون

لولا المقابلة بين (أنت النهر وأنا الظامئ/ يسكنني عذباً وملوحة خبز/ يا فاتنة الوقت اقتربي ابتعدي) لأمسى النص مجرد كلمات مرصوفة على أرتال الضمائر (أنا، أنت، هو، نحن) فكلّ ما أدَّته هذه الأنساق من مهام فنية أنها أخرجت النص من إطارٍ خطابي عادي، إلى فضاء بوح وجداني مسكون بالرقة والشفافية المشوبة بالقلق الذي دفعنا لأن نشارك الشاعر به ولو للحظات.

وفي (فاتحة الضوء) ترتفع حدة المراوحة الزمانية لارتباطها بالأفعال الماضية والمضارعة وقد أُسندت إلى جملة من الضمائر المتباينة الدلالة والإشارة وذلك على النحو التالي:

١- الضمير (أنا): أغازل، أصافح، أسافر، أحبك، قرأت، توضأت..الخ.

٢- الضمير (هو): يكون، يطلع، يحضن، يوازن، يدور، يعاند، يعانق، صار.. الخ.

٣- الضمير (هي): تعشق، تبقى، تمدّ، تودّ..

٤- الضمير (أنتِ): كأنكِ في ليلة القدر، أنت تطلين.. تظلين، تمدين...

٥- الضمير الجمعي: الذي لم يتكرر سوى مرتين مسنداً إلى الفعل الماضي الحكائي: قالوا: (أحبك: قالوا: وأجمل ما فيك عشق النخيل/ أحبك، قالوا: وتبقى الزمان..)

٦- الضمير (أنتَ): الذي ورد بصيغة واحدة (وتبقى الزمان)

هذه المداخلة بين الأفعال الماضية والمضارعة، وما أُسند إليهما من ضمائر متباينة العدد والإشارة والتوظيف، تحاول أن ترسم سياسة الذات داخل النص، لتقول: أنا هنا، وراء ملفوظية الخطاب الشعري، أمارس لعبتي الحياتية في الواقع المعيش، ولعبتي الفنية داخل النص الشعري.

هذه المقولة قوّلها الشاعر إلى سياسة توظيفية في توليف الأفعال مع ضمائرها، لتكون أداة وصل وإيصال بين مداخلات الأفعال المضارعة والماضية المشتركة بالضمير أنا، وبالتالي ليقوم بأداء فني يسعى إلى تجميع أنساق الملفوظية المتداخلة والمتباينة في خطاب شعري ينطلق من الأنا إلى الـ هي فالـ: هو.. فالـ: أنت والأنت:

أغازل وجهك حيناً

أصافح طيفك يأتي

هي الروح تعشق من كان في القلب

وهجاً يضيء الشفاف

أنا حاضر في الرذاذ
هو البحر بيني وبين المسافات يحضن بَوْحي
أسافر حيث وقفتِ وكان الدوار
تمدين للشمس أفقاً من الوجود والانتظار
هذا التداخل

هـذا التداخل الموظف بين أنساق الأفعال الماضـية والمضارعة، وما أُسند إليها من ضمائر أدى مهمتين أساسيتين:

١-مدّ النص بالحركة والحياة، وذلك عن طريق تعدد الأصوات وتداخلها، داخل النص، حيث كـنا نـصغي لأكثـر من صوت متداخل قادم من الماضـي والحاضـر والمـستقبل، وعلى أجنحة الضمائر المختلفة، أنا، أنتَ، أنتِ، هو، هي، نحن، وهـذا التـنوع فـي البناء الداخلي للقصيدة، جاء لـيوازي معمارهـا الأفقـي المعتمد على الصوت المفـرد الغنائـي، الـذي لم يعد كافياً للتعبير عن كلـيّات التجـربة الإنسانية، التي يعيشها الشاعر بفعلـه ووعيه، ومن هنا أصبحت القصيدة الحديثة تعـتمد علـى مجمـوعة من الأنساق المتداخلة، المعبـرة عـن تلك الأصوات التي تعيش وتتحرك داخـل النص على محاور إسقاطات الفعل بأزمنته المتغيرة، وبدلالات الضمائر المسندة إلى هذا الفعل أو ذاك، والتـي تتحـرك ضمن مسار محدد مرتبط بنسق وصوت الفعل نفسه، ولذلك نجد أن للقصيدة إجمـالاً نـوعاً "من البناء المسرحي دون مسرح، هـي مـسرح ولكن دون مسرح بالمعنى العادي، مـسرح تـتداخل فـيه أصوات كثيرة على صعيد الأنـا والأنـت والـ هـو والـ هي والـ نحن، وعلـى صعيد الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً، فجـوقة الأصـوات تـتماذج وتـتداخل لكي يمكن الإفـصاح عـن هـذا الـتماذج في الرؤية الأفقية والعمـودية للقـصيدة الحديـثة التي لم تعد مجرد صـوت واحد يتحكم بمعمار بنائية النص من أوله إلى آخره".

٢- توظـيف فعـل الكيـنونة بـصيغتي المـضارع والماضـي: "يكون التوحد بيني وبينك/ أسافر حيث وقفت وكان الدوار" شكّل مقدمة وسبباً لنتيجة فعل الصيرورة "أناديك.. صار النداء مرايا" وحُـسن أداء التوظـيف جـاء من استخدام فعلي الكيـنونة وهما يبسطان أشجانهما، ثم جاء بعدهما وبمـسافة قـصيرة فعـل الصيرورة وهذا ما جعل الـنص يـنطلق مـن سياسة توظيف الأفعال مع ضمائرها وربطها بفعلي الكينونة فالصيرورة وهذا مـا أدى إلـى ارتفـاع صوت الشاعر نفسه: "أنا حاضر في الرذاذ/ أنا حاضر في المكان".

وهـذا الحضور الموظف في نفي الزمان والمكـان سياسـة توظيفـية فنية، تؤكد حضور الـشاعر الشخصي والفعلي، والانفعالي، والمكاني والزماني داخل النص، كما هو إشارة كهدف تقني يـتعلق بتوظيف الكلمة داخل الدفقة الشعرية داخل الـنص، مدفـوعة بقدرات سعت إلى ربط الرؤية البـصرية الخارجـية، بالـرؤية الفكرية الداخلية، فحققـت تـوازنها الفنـي والتقنـي لولع الشاعر بتـسييس الأسـلوب الخبـري المعتمد على الفعل الـواحد، والمـسند إلـى أكبر ممكن من الضمائر المتباينة في الدلالة والإشارة، مما ساهم في جمع شتات المعاناة الكلية في وحدة جمعيّة اختصت بها القصيدة الحديثة دون سواها.




متى يُكرّم وديع..؟!

شعر: جورج يوسف شدياق - فنزويلا

كرمى عيون الوفاء يجب أن نُكرّم المبدعين وهم على قيد الحياة..

متى تُكرّم مصر فارس البيان، وسيد البلاغ الأديب الكبير الأستاذ وديع فلسطين.؟!

قلـــمٌ بأعـــباءِ البـــيانِ ولَـــوعُ
يَعـــصي أديـــبَهُ تـــارةً ويُطـــيعُ

أوديـــعُ يـــا نـــدَّ الفـــؤادِ تحـــيةً
عـــربيةً شـــذى الـــوفاءِ تـــضوعُ

إنّـــا اجتنيـــنا مـــن قطـــوفِكَ مـــا دَنـــت
وحلَـــتْ، فحقلُـــكَ مُخـــصبٌ ومـــريعُ

مـــا لـــذَّ لـــي - والله - غيـــرُ بـــيانِكمْ
كـــمْ تـــاقَ للـــثدي المـــدرِّ رضـــيعُ

تمـــتدُّ كفـــي كـــي تـــصافحَ كفّكـــمْ
فالحـــبُ مـــا نـــأتِ القلـــوبُ شـــفيعُ

لا تخـــشىَ مَحْـــلَ الحـــرفِ فـــي آدابـــنا
فـــي كـــلِّ قلـــبٍ حـــرُفكمْ مـــزروعُ

مـــرَّ الخـــريفُ بكـــمْ فلـــمْ تعـــبأْ بـــهِ
فـــسنينُ عمـــركَ كُلهـــنَّ ربـــيعُ







مازلـــتَ تغمـــرنا بأنــداءِ النُهـــى
شــكراً فأنـــتَ علـــى الــسخا مطـبوعُ

بوأتَـــنا عـــرشَ البـــيانِ فكُلكـــمْ
خُلُـــقٌ كـــريمُ النبعتـــينِ رفـــيعُ

تـــرنو إلـــيكَ مـــن المهاجـــرِ أَعـــينٌ
هـــي فـــي ســـمائكَ أنجـــمٌ وشُـــموعُ

وتطـــلُّ مـــن خَلَـــلِ الـــشغافِ جـــوانحٌ
ولهـــى، وتهفـــو إثـــرهنَّ ضُـــلوعُ

مازلـــتُ أرقـــبُ كـــلّ شـــهرٍ "ضـــادَنا"
لـــي بالـــبحوث الـــباذخاتِ ولـــوعُ

أزكـــى المُـــدامِ مقالـــةٌ وقـــصيدةٌ
ومجـــالسٌ فـــيها الحـــديُ بديـــعُ

* * *

غـــادرتُ ربعـــي قـــبّح اللهُ الـــنوى
الـــيومُ فـــيهِ مـــن الأســـى أســـبوعُ

ودّعـــتُ مَهْـــدَ طفولتـــي لا عـــنْ رضـــى
فأثـــارَ كـــلَّ لواعجـــي الـــتوديعُ

شـــوقي الملـــحُّ إلـــى الـــربوع معذّبـــي
أتُـــرى تحـــنُّ إلـــى الغـــريبِ ربـــوعُ

مُـــذْ غـــبْتُ والدمـــعُ الـــسخيُّ بمُقلتـــي
أبـــداً تُـــسامرُ مُقلتـــيَّ دُمـــوعُ







الهجـــرُ جرّعنـــي العـــذابَ بأكـــؤسٍ
لمّاعـــةً فـــيها الـــسهامُ نَقـــيعُ
لـــو لـــمْ أكـــنْ طفـــلاً لعـدتُ إلـــى الحمـــى
لـــي مـــوطنٌ خلـــفَ الـــبحارِ وسـيعُ
كـــمْ حـــاولَ النـــسيانُ وأدَ مـــشاعري
عبـــثاً فحُـــصني لا يُـــرامُ مَنـــيعُ
الـــضادُ زادي مـــا أكلـــتُ رغـــيفَها
إلاّ وعادونـــــي إلـــــيها جـــوعُ
أحـــيا علـــى أمـــلِ الـــرجوعِ فهـــلْ لـــنائـــ
ـــي الـــدارِ رغـــم المغـــرياتِ رجـــوعُ
لـــمْ تغتـــربْ مثلـــي وهـــذي نعمـــةٌ
يحظـــى بهـــا – بـــئسَ الثـــراءُ – قَـــنوعُ

* * *

الـــضادُ فـــي ألـــمٍ فهـــدّيْ روعَهـــا
مـــا عـــادَ ينـــبضُ قلـــبُها المـــصْروعُ
تبكـــي قـــصورَ الأمـــسِ كـــنَّ شـــواهقاً
والـــيوم بعـــد خـــرابهنَّ تَـــريعُ
لـــمْ يـــبقَ مـــنها غيـــر الأطـــلالِ عَفَـــتْ
والـــبومُ فـــيها يـــشتري ويبـــيعُ
أيـــن الأُلـــى كانـــوا جـــذورَ تُـــراثنا
أومـــا لهـــمْ فـــوق التـــرابِ فُـــروعُ







رفـــدوا الـــبلاغةَ بالـــنفائسِ جمّـــة

والدّهـــرُ فـــي الأدبِ النفـــيس طمـــوعُ

آدابُـــنا الزهـــراءُ غـــاضَ معيـــنُها

مـــا للطـــيورِ علـــى اليـــبابِ وقـــوعُ

طـــال الخـــريفُ فكـــيف تبـــسُم أيكـــةٌ

عَبَـــثَتْ بهـــا ريـــحٌ عَـــتَتْ وصـــقيعُ

غَـــزَتِ الـــرطانةُ بالجديـــدِ بيانَـــنا

والـــساهرونَ علـــى حمـــاهُ هُجـــوعُ

قـــد شـــوّهوا الفـــصحى وأدمـــوا قلـــبَها

فالأبجديـــــةُ أدمـــــعٌ ونجـــــيعُ

خدعـــتهمُ - كُرمـــى العـــيونِ - صـــحائفٌ

صـــغرى لهـــنَّ إلـــى الـــركيك نـــزوعُ

أيـــن الأُلـــى كانـــوا نجـــومَ تُـــراثنا

أومـــا لهـــنَّ - وقـــد أفلـــنَ - طلـــوعُ

* * *

مـــصر احتفـــي كُرمـــى الـــوفاءِ بمِـــصْقَعٍ

فـــي كـــلِّ نَـــدْيٍ حـــرفُهُ مَـــسْموعُ

تكـــريمُ مـــن أغنـــى المكاتـــبَ واجـــبٌ

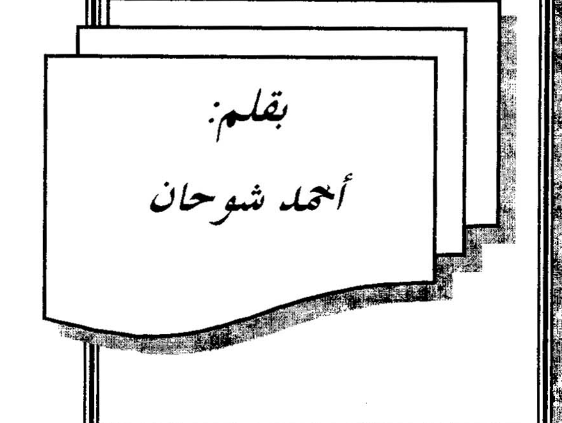
وســـواهُ مـــا طـــالَ الـــبقاءُ مـــضيعُ

شـــيمٌ عُـــرفْتِ بهـــنَّ مُـــذْ أنـــا يافـــعٌ

فمتـــى يُكـــرّمُ يـــا وفـــاءُ وديـــعُ




الدكتور عبد اللطيف ياسين بين العلم والثقافة


بقلم:
أحمد شوحان

لدى قراءتي لمؤلفات الدكتور عبد اللطيف ياسين اتضح لي بما لا مجال للشك فيه أنه أحد العلماء القلائل الذين تفخر بهم سوريا، وأنه أحد الباحثين الجادين في علم الأجنة والجنس لدى الرجل والمرأة، وأن مؤلفاته الكثيرة هي خير شاهد على ذلك.

يقول في مقدمة كتابه (صبي أم بنت؟): يجب أن نفكر قليلاً في هذا الموضوع، ونتساءل فيما إذا كان من المستحسن أن يعرف الناس مسبقاً، عن نوع جنس جنينهم المقبل لأني أعرف الكثير ممن لا يفضل المعرفة المسبقة بذلك، بل يرغبون بأن تكون هذه المعرفة مفاجئة بعد الولادة.

ويختم خاتمته بقوله: المهم أن ننجب الإنسان الصحيح الجسم والعقل، ونعلمه التربية القومية والأخلاق الحميدة، والوطنية والإنسانية بغض النظر عن جنسه وعرقه.

أما في مقدمة الجزء اول من كتابه (منع الحمل ومشاكل الجنس والزواج) فيقول: (دفعني إلى وضع هذا الكتاب الرغبة في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الجنس والمؤدية في كثير من الأحيان إلى تحطيم الحياة الزوجية والبيت السعيد، وذلك إما لسوء فهمها أو لسوء استخدامها، وذكر أهم العلاجات العلمية الطبية لبعض الأمراض الجنسية الشائعة والأساسية، معتمداً في كل كتاب على الأسس الدقيقة، والإحصائيات المختلفة والكثيرة، وعلى متابعتي لآخر التطورات العلمية في العالم من خلال حضوري الشخصي للمؤتمرات الدولية أو مستنداً على المراجع الطبية العديدة ومن خلال تجربتي العيادية الطبية غير مهمل للعوامل النفسية والاجتماعية والتربوية.

يقول: هيأ الإسلام المجال الملائم أمام الإنسان لاستخدام كل طاقته الإبداعية، والنهوض بسمؤوليته في عمارة الأرض، وحدد الله تعالى مهمة الإنسان الحضارية في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١].

ولا شك أن عمارة الأرض تتحقق بالعلم، الذي هو فريضة إسلامية، وبالتقنية التي هي تطبيق العلم، ومن أجل ذلك تدخل الحضارة في المفهوم الإسلامي وتعني تحقيق المشيئة الربانية في عمارة الأرض مادياً ومعنوياً.

عبد اللطيف ياسين ناقداً

يقول: (فالمدخنون في سوريا على سبيل المثال، يحرقون سنوياً دخاناً بقيمة /١٢/ مليار ليرة سورية، منها /٧,٢/ مليار ليرة للدخان الوطني و /٣,٦/ مليار ليرة سورية للدخان المهرب، و /١,٢/ مليار ليرة سورية للدخان المستورد. وحسب إحصائيات (غوتا) فإن الدخان المهرب يشكل في السوق نسبة /٣٠%/ والمستورد /١٠%/ والوطني /٦٠%م.

وبعد سرد عدد من الإحصائيات عن المدخنين في عدد من دول العالم يذكر المؤلف هذه الجملة:

(والخلاصة؛ يعتبر التدخين من أفضل الوسائل للانتحار).

ويبدأ الدكتور عبد اللطيف سلسلة من النصائح للمدخنين إذ يثبت أن التدخين يؤثر على النمو العقلي والاضطرابات النفسية عند الأولاد كما يؤدي إلى الموت المفاجئ لدى الرضع، كما أنه ثبت أنه يضعف الانتصاب عند الذكر ويؤدي إلى العجز الجنسي عند الرجل، وأن السرطانات في أماكن في جسم المدخن سببها التدخين حتماً.

وينقل آراء العلماء في مخاطر التدخين وأرقام الإحصائيات الدقيقة والنصائح للإقلاع عن التدخين إلاَّ أنه في نهاية المطاف يقول: مقلق ومزعج في النفس هو تدخين الأب أمام أبنائه وزوجته في المنزل والسيارة.. ثم يقول بعد ذلك: وعلى الرغم من معرفة مدخن السجائر مضار التدخين ومخاطره، وعلى الرغم من كل التقارير الطبية والبحوث التي أجمعت على أن التدخين هو انتحار بطيء، يصر المدخن على الاستمرار في التدخين، متجاهلاً ما يحدق به، ويهدد حياته، ويلوث جسمه.. فما هو شعور الأب أو الأم المدخنة وهم يرون أطفالهم يدخنون رغماً عنهم، معرضين فلذات أكبادهم إلى مآسي التدخين السلبية من سرطان وأمراض القلب والرئة.. إلخ.

وينتهي إلى القول في بحث: هل التدخين محرم دينياً كشرب الخمر؟ فيقول: (حرم أهل العلم من المذاهب الأربعة التدخين.. لقد أحل الله الطيبات حرم المنكرات ومن أقبحها المسكرات والمخدرات والتدخين..

فالمسكرات والمخدرات والتدخين مضرة للنفس والجسد، وتغير من فطرة الخلق ويجب تحريمها).

محاربته للفساد

يقف الدكتور عبد اللطيف ياسين درعاً واقياً للتاريخ والتراث والواقع، حين نجده يدافع عن نصوص الشريعة التي يتهجم عليها

أعداء الإسلام، وتلامذة الغرب ممن تربوا على توجيهاته الضبابية.

ويستعمل في هذا الدفاع حصيلة ضخمة من المخزون الثقافي الإسلامي الذي يمتلكه من خلال قراءات طويلة ومكثفة، فهو ينتقد الواقع العربي، ويشير بإصبعه على مواطن الفساد والتخلخل، كما يشير عن بعد إلى أولئك الذين يهمزون ويلمزون العرب والمسلمين في أوربا وأمريكا وغيرهما، ولا يقتصر نقده للساسة والمفكرين وأصحاب القرار، وإنما يتعدى ذلك إلى الفنانين ومن على شاكلتهم ممن يمتازون بالتأثير على الشارع الغربي بأساليب الجمال والجنس والإغراء فبريجيت باردو هذه الفنانة التي ذبل جمالها ورحلت فتنتها التي اقتلعت أوتاد الفضيلة والأخلاق في فرنسا وغيرها، راحت في أواخر أيامها الكئيبة تعصر عينيها على قسوة المسلمين في ذبح الحيوانات للأكل وهدر دمها، فهي تصف الذبح الشرعي بالوحشية، وتطالب أن يذبح المسلمون الحيوانات والطيور بالصعق الكهربائي أو بإطلاق الرصاص على رؤوسها لتموت ويبقى الدم في جسمها.

ويقرأ الدكتور عبد اللطيف ياسين اتهامات الفنانة العجوز ويرد عليها، ردوداً علمية، ويستشهد بآراء علماء وأطباء لهم يد طويلة في تحليل لحم الخنزير وسبب تحريم لحم الميتة، والمنخنقة، والنطيحة، والمتردية، والموقودة، وأن موت هذه الحيوانات بهذه الوسائل يجعلها فاسدة طباً وضارة لآكلها، والإسلام يغار على سلامة صحة الإنسان، ويوجهه للصواب ويعتبر أن درهم الوقاية خير من قنطار علاج، وثم يبين مفاسد شرب الخمر والمخدرات والدخان وما يؤول إليه أمر متعاطي هذه المواد المضرة بالصحة، والمفسدة للبيئة، والمتلفة للأموال هدراً.

ثم يذكر تلميذات بريجيت باردو الفرنسية من الناطقات بالعربية كنوال السعداوي المصرية الني انسلخت عن جلدها العربي المسلم ولبست لباس الغرب بعد أن عاشت في أوزبا عدة سنوات عادت حاقدة على الإسلام والعرب أيما حقد، متهمة الإسلام بالتخلف لأنه يقر ختان المرأة، علماً بأن الإسلام لم يأمر بذلك وإنما أمرت به الأمم السابقة، والديانات السابقة للإسلام، وأصبح مشروعاً في مصر منذ عصر الفراعنة وهنا نجد الدكتور ياسين يذكر الشعوب التي تختن وهم على غير الإسلام وفوائد الختان للرجال طباً وطهارة ودرءاً لأمراض الجنس الكثيرة التي تمارس فيها بموجب حماية القانون كما يذكر الشعوب التي تأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وأمثال ذلك، وكيف آل بها الأمر إلى فساد الأخلاق، وانهيار القيم، وانتشار الأمراض، وكثرة المفاسد.

ثم يستشهد بآراء أطباء ومخبريين عرب وأجانب في كليات الطب وأساتذة الجامعات في أقسام الجراثيم والفيروسات لدى الإنسان والحيوان والطيور، ويثبت شهاداتهم وتجاربهم في الذبح، ونقاء الذبيحة، ورفض العلم من خلال التجربة لأساليب الغرب في قتل الحيوان واستهلاك كل شيء دون روية.

ويتألم الرجل كثيراً في الفوضى والفساد الذي يريد أن يفرضه بعض المفسدين على مجتمعنا الآمن، لقد سرق بيته واستباح اللص حرمته في الظلام، وسرق ما أراد ورأى

آثار الأقدام، وكاد أن يشير إلى السارق لوضوح الشواهد، فذهبت النتائج أدراج الرياح فقال: "لا أريد ذكر أسماء ولا أتهم أحداً، ولا أحقد على أحد لكنني أتألم على وطني، على بلدي، على قوميتي وعروبتي، وأنا أرى وأشاهد المآسي تتكرر بدون رادع مجد، كما أرى الفقر يزداد والفروق بين طبقتي المجتمع تتسع).

ويدخل ذات يوم إلى دائرة القضاء في اللاذقية من أجل شهادة. فكان هناك خطأ في اسم أحدهما. فتعقدت الأمور وكاد عقد البيع يفسخ لولا أن دخل أحدهم إلى غرفة ثانية وعاد مبتسماً فسأله الدكتور ياسين: لماذا تركتنا وذهبت إلى الغرفة المجاورة وماذا فعلت هنا؟ قال: لقد دفعت ألف ليرة سورية لأنهي الأمر. لأن الذهاب والإياب إلى دائرة النفوس والتعقيدات المرافقة سيكلفني وقتاً أطول، ودفع رشاوي أكثر.

يعلق الدكتور ياسين بإحساس مرهف إلى هذه العيوب الاجتماعية فيقول: فما بالك بما يحدث في القضاء، وما يحدث في الاستيلاء على أملاك الغير سواء بالقوة، أو بطريق غير مشروعة؟

داعية الإصلاح

ليس بالضرورة أن يكون الطبيب متخصصاً في جانب واحد ويهمل بقية التخصصات والاهتمامات والهوايات، فقد كان كثيراً من الأطباء عاشوا وماتوا لكنهم لم يتركوا أثراً بعد رحيلهم. لكننا حين ندخل صومعة الدكتور عبد اللطيف ياسين نجد عيادته الطبية في آخر زواياها، بل نجد اهتمامه بالمواطن، والوطن والأمة في أوليات اهتماماته التي يقدمها على مهنته كطبيب مختص، فهو يبحث في رفع مستوى المواطن العربي إلى مستوى لائق، ويجد في الفوارق بين دخول بعض الدول العربية على بعض عبئاً يزيد الفقر فقراً، وهم المصلحين هموماً، فهو يضع دخل المواطن اليمني /٢٦٠/ دولارا للفرد الواحد، بينما يرتفع هذا الرقم في الكويت ليبلغ /١٧٠٠٠/ دولار، وهنا نجد البون كبيراً بين الفقر المدقع في بلد عربي وبين البذخ المفرط في بلد آخر، وذلك بنسب البطالة المتفشية بشكل واسع حتى بين حملة الشهادات العليا، وبين بلد بترولي صغير، لا تزيد مساحته عن شبر، ويعادل دخل مواطنه أضعاف دخول جيرانه من العرب الجوعى، علماً بأن الفساد قد استشرى في البلدان، والوهن قد سيطر على القطرين، ويبذل ما بوسعه من خلال كتاباته إلى رفع دخل المواطن من خلال خفض الضرائب ورفع الرواتب، وتأمين فرص العمل للعاطلين، والعمل على رفع مستوى المواطن والرفاهية قولاً وعملاً.

وهناك لفتات كثيرة في كتاباته ومجالسه، فهو في تفكير دائم للواقع العربي المأزوم، ولعدم مسايرته للعصر الراهن، حيث أصبح العرب في الصف الأخير بين أمم الأرض سياسياً واقتصادياً وعلمياً، ولذلك نراه يقول عن هذا التخلف في كتبه ومحاضراته: (لن أتحدث الآن، لأن الأمر يحتاج إلى كتب عن أحوال جامعة الدول العربية، ولا عن اليأس في عدم تحقيق أي أمل جدي حتى الآن، في تأسيس سوق عربية مشتركة، وهو أضعف

الإيمان، ولن أتحدث أيضاً عن انهيار مؤسسات المجتمع المدني العربي، ولا عن اندلاع الحروب والنزاعات الأهلية والقبلية والدينية داخل الوطن العربي، بدلاً من التضامن واللجوء الجدي إلى الوحدة العربية الحياتية).

وقد وقفت كثيراً أمام نداءات أخي وصديقي عبد اللطيف ياسين الإصلاحية والداعية إلى مواكبة العصر. والتقدم والعلمي، والبحث عن مخرج لهذه الأزمة الخانقة التي تمر بها أمة العرب في هذا العصر الذي تفتح الباب على مصراعيه لمن يريد التقدم من خلال البحث العلمي الجاد، إلاَّ أن المعوقات كثيرة، ومثبطات الهمم أكثر.

السياسي

يتابع الدكتور ياسين تاريخ عائلة (بوش) ويسير معها عبر رحلتها التي قاربت نحو قرنين في الكيد للإسلام، وهيل اللوم على المسلمين، وذم العرب من جهة، بينما نراها من جهة أخرى عائلة مسيحية قد تهودت، وأمريكية قد تصهينت، لا تعرف للحق طريقاً، ولا للمصداقية السياسية سبيلا.

فقد صور كتاب جد هذه العائلة الأكبر (جورج بوش) عام /١٨٣٠/ واسمه (محمد مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس امبراطورية المسلمين) صب فيه جام غضبه على رسول الأعظم وعلى المسلمين وقادتهم وفتوحاتهم، ويعتبر هذا الكتاب العرب إحدى الأعراق المنحطة، ويصفهم بالمتوحشين الذين يستحقون الإبادة وينسى هذا الجد متى أصبح أمريكياً، ومن أين جاء وما هي عقيدته، وما فعل الذين سكنوا أمريكا بأهلها الأصليين؟.

لقد رسم زعيم العائلة الصورة القذرة التي وصف بها المسلمين وسلمها لحفدته من بعده، فما ترك صفة سيئة إلاَّ وألصقها بالعرب ونبيهم محمد ﷺ.

إن عائلة بوش الجد ذات المذهب البروتستانتي يؤمن بأن عودة المسيح لن تتم إلاَّ إذا قامت دولة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، وهذه الهرطقة الكنسية يتبناها ساسة أمريكا وزعماؤها، وعملوا ما بوسعهم لدعم إسرائيل، ومدها بالسلاح، والضغط على العرب والمسلمين أينما كانوا لحمايتها وبقائها.

ولا غرابة في ذلك أن نرى جورج بوش الأب يشن هجوماً على العراق عام ١٩٩١، ثم يفرض حصاراً رهيباً فيموت الآلاف بسبب نقص الغذاء والدواء.

وقد رفع هذا الرئيس الإنجيل بيده يعد انتصار الولايات المتحدة في حربها على الخليج وقال كلمته المشهورة: من أجل هذا أتينا.

علماً أن أغلب الدول العربية أيدته في هذه الحرب وأرسلت جيوشاً إلى الكويت، فقد قتل الأبرياء، ونسب هذا النصر للمسيح والإنجيل.

ثم يأتي بعد ذلك ولده جورج بوش فيدمر العراق تدميراً شاملاً في عام ٢٠٠٣، ويقتل الشعب العراقي ويمزقه إلى أعراق وطوائف متناحرة.

ويتحرى الدكتور ياسين ساسة الولايات المتحدة، فيجد في الرئيس أبراهام لنكولن حالة مرضية تقلب سعادة المرء إلى

قتامة وظلامية في الرؤية. حيث كان الرئيس مصاباً بمرض الاكتئاب.

دراسات ميدانية

يعتبر الدكتور ياسين معلم معياراً للعصر الذي يعيش فيه، وحيث أنه صفحة من هذا الكتاب الذي تعتز الإنسانية بالانتماء إليه (كتابة المعرفة) فإنه أحد العلماء الذين يقدمون للإنسانية جهوده ومبتكراته، ودراساته وهو يدعو للعلم، ويدعو إلى التمسك بالمورثات الدينية والتاريخية والسياسي، فالعلم أثبت أن الجنين وهو في بطن أمه يتأثر بالموسيقى الهادئة والصاخبة، وتنشرح أساريره لها، ويضحك ويغضب لعكس ذلك.

ولماذا يدَّعي البعض أن الأذان في أذن الطفل الوليد حديثاً وإقامة الصلاة في أذنه اليسرى من الأمور التي لا تجدي شيئاً.

علماً أن العلم الحديث يثبت نفسها وجدارتها على تسوية سلوك الطفل وتحديد مساره السلوكي مستقبلاً.

يقول الدكتور ياسين مدافعاً عن هذه السنة النبوية قائلاً: (إذا كان الجنين يسمع وهو في بطن أمه الموسيقى وصوت الأم والوالد والأقرباء، فلم لا يسمع رسالة التكبير عند ولادته، فرسالته التكبير تصل بعد الولادة بشكل أقوى مما تصله الموسيقى ولمسات يد أمه الناعمة على بطنها أثناء الحمل).

وقد قام بدراسات ميدانية، وتجارب علمية على بعض الأمراض المستعصية بغية الوصول إلى حلول لها، أو تشخيصها مبكراً. كما قام بدراسة ميدانية في مشاف عسكرية ومدنية في دمشق على /٣٠٥/ من مرضى السرطان، كما قام بأكثر من /٢٧/ عملية تحويل الخنثى إلى أنثى أو العكس وذلك بعد عودته من لندن في بداية الثمانينيات، وأخبرني أنه تلقى مكالمات هاتفية من بعضهن أنهن تزوجن وحملن وأنجبن، وقام في نفس الفترة بدراسة صبغية على الرجال، ولم يكمل البحث لأنه يحتاج إلى جهود متضافرة، وأموال وتفرغ كامل، وهذه العوامل نحتاج إليها لنلحق بركب العلم الذي احتضنه الغرب وخسرناه لتقاعسنا.

لقد أدلى الدكتور ياسين دلوه في محراب البحث العلمي، وهو وإن لم يكمل مشواره في دراسة الصبغيات على الرجال فإنه فتح باب البحث، لمن يكمل مسيرته البحثية والعلمية، التي تحتاج إلى تضافر جهود العلماء، والدعم الكبير، إضافة للدعم المعنوي، وبذلك يكون قد مهّد الطريق أمام الجيل الثاني من العلماء الباحثين الذين يقع عليهم العبء الأكبر في رفع شأن الأمة وتقدمها بين الأمم الأخرى.

ترى.. هل أعطيت الدكتور عبد اللطيف ياسين حقه في الكتابة عنه من خلال تكريمه؟!!

إن عالمه رحب واسع، وكل ما كتبته عنه لا يزيد عن وقفة بسيطة على شاطئه الطويل. الذي نحن في هذا العصر المضطرب أحوج ما نكون إلى الغوص في أعماقه للاستفادة من خبرته ومعارفه.

حقاً إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.




قانا..

شعر وداد طويل عبد النور

قانـــا وحقُّـــكِ أَنْ تُبْكِـــيكِ أَحْـــزانُ
فـي الـــصُّبْحِ مَجْـــزَرَةٌ في اللَّـــيْلِ عُـــدوانُ..

والغَـــدْرُ يُمْطِـــرُ مـــنْ أَحْقـــادِهِ حِمَمـــاً
وَبْـــلُ القذائِـــفِ فـــوقَ الـــسّاحِ أَطْـــنانُ..

مَـــنْ يُطْفِـــئُ الـــنّارَ في قلـــبي وفي كَـــبِدي؟
كَـــيفَ المـــنامُ؟ وتحـــتَ الـــرَّدْمِ رَيْحـــانُ؟

مَـــنْ لَـــفَّ حَـــوْلَ وِســـادِ الطِّفْـــلِ قُنْـــبُلَةً
كَـــيفَ اســـتقرَّ بِجُـــنْحِ الأَرْزِ خَـــوّانُ؟..

لُبْـــنانُ نـــادى: أَمَـــا مـــنْ مُـــشْفِقٍ جَـــزِعٍ؟
أَمَـــا بِقَلْـــبِ مُلـــوكِ الـــنَّفْطِ تَحْـــنانُ؟..

مـــا بـــالُ كُـــلِّ شَـــقيقٍ كـــادَ يَنْكُرُنـــي
وا خَيْـــبَةَ العُـــرْبِ عـــدنانٌ وقَحطـــانُ..

* * *

أَكْبَـــرْتُ عَـــزْمَكَ نَـــصْرَ اللهِ مَلْحَمَـــةً
مَـــنْذا سِـــواكَ علـــى الإعْـــصارِ رُبَّـــانُ؟..







حَـــزْمٌ.. وبـــأْسٌ.. وفِكْـــرٌ ثاقِـــبٌ أَنِـــفٌ
صِـــدْقٌ إبـــاءٌ.. وإِقـــدامٌ.. وإيمـــانُ..

كـــيفَ انبـــثقتَ وكـــادَ الـــيأْسُ يَقْتُلُـــنا
أَنْ لَـــيْسَ في رَحِـــمِ الـــبَلْواءِ فُرســـانُ..

يـــا مُـــشْعِلَ اللَّهَـــبِ القُدْسِـــيِّ في دَمِـــنا
حتَّـــى تفجَّـــرَ تحـــتَ الـــصَّدْرِ بُـــركانُ..

هـــذا انتـــصارُكَ مِـــلْءُ الكَـــوْنِ زَلْـــزَلَةً
أَنْـــتَ المُرجَّـــى بِـــصَدْرِ العُـــرْبِ نَيْـــشانُ..

قُـــلْ للطغـــاةِ بأَنَّـــا صـــامدون هُـــنا
لا لـــيسَ يُـــرْهِبُنا قَـــصْفٌ ونـــيرانُ..

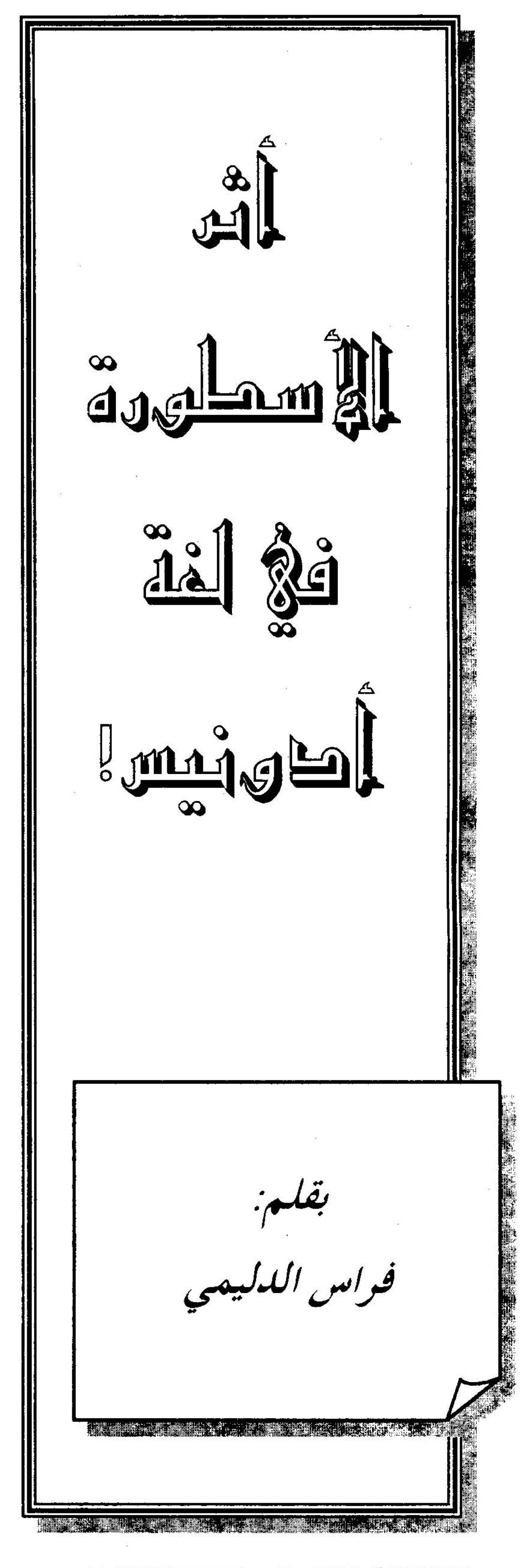
لُبـــنانُ يـــنهضُ مـــنْ تحـــتِ الـــرُكامِ وَمَـــنْ
مـــن قـــالَ يكـــبو بِـــساحِ المجـــد لبـــنانُ؟..

فـــيا مجاهِـــدَ يـــا أُنْـــشُودَةً كُتِـــبَتْ
في جَـــبْهَةِ الـــشَّمْسِ والأَحْـــداثُ بُـــرهانُ

أَنْـــتُمْ بـــشائِرنا. أَنْـــتُمْ قِيامَتُـــنا
أَنـــتمْ منائِـــرُ لِلْجُلَّـــى وتـــيجانُ..

ويـــا سماحـــةَ نـــصرَ اللهِ يـــا أَمَـــلاً
لـــك القـــوافي ونـــبضُ القلـــبِ عِـــرْفانُ..



إن لغة الكاتب أو الشاعر هي أسلوبه الخاص الذي يجعله متميزاً عن غيره من الكتّاب ومختلفاً عنهم. فلغة الكاتب هي الجزء المتحقق يحقق به تفرده عن غيره، فلغة أدونيس هي أسلوبه الذي يجعله مختلفاً عن لغة السياب مثلاً ولغة خليل حاوي ولغة طه حسين، وهي جملة إنجازاته القولية التي حققها عن طريق اختياراته في مستويات اللغة المختلفة. الصوتي والمعجمي والتركيبي وصولاً إلى تشكيل النص.

هذا الكلام جاء في كتاب الناقد التونسي محمد الصالح البوعمراني الذي بعنوان (أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية) بحث في الدلالة والكتاب يتناول في معظم صفحاته الأساطير بشكل عام قبل أن ينتقل إلى وجودها في شعر أدونيس علي أحمد سعيد، مثل أساطير: الفينيق، الطوفان، أدونيس، أورفيوس، إلى أن يقول: هذه الأساطير المبهمة في شعر أدونيس هي على غرار تناول علماء الدلالة للكلمة، ثم هي اشتراكها جميعاً في أسطوريم أساسي يجمع بينها (التجدد) مما يجعل هذه الأساطير وإن اختلفت في مستوى دلالتها التصريحية تتفق على مستوى دلالتها الحافة، ويضحي بذلك (المفهوم الضمني) لهذه الأساطير بمثابة المحرف الذي تلتقي عنده الأساطير المختلفة ليعطيها في الأخير نفس الدلالات. وفي شكل هوس بفعل الهدم والبناء تأخذ الكلمات عند أدونيسي شكلها الجديد، وتموت الدلالات الأول لتورق دلالات جديدة، وبهذه العملية استطاع أدونيس أن يخلق لنفسه معجماً مخصوصاً فلم يعد يكتفي بالكلمات المعروفة بل يمارس عملية

خلــق تولّد معجماً خاصاً يمكن أن نطلق عليه (المعجــم الأدونيــسي) وهذا ما عبّر عنه عز الدين إسماعيل بقوله:

"فقــد استطاع أدونيس ان يشق لنفسه لغــة خاصــة، وأن يكون لنفسه عبر دواوينه المختلفة معجماً شعرياً واضح التميز.

فالــدّال عــند أدونــيس يمارس فعل الانعــتاق مــن مدلــوله الذي تلّبس به أحقاباً وأنهكــه الاســتعمال، لينــزعه ويختار لنفسه دلالات جديــدة. علــى أن هذا الإفراغ والملء الــذي يمارسه أدونيس، بانياً كلماته، لا يحدث اتفاقــاً ولا تتحــرر الكلمــة من معناها لتتخذ دلالات متــباعدة ومتباينة لا تحد، فإن كان من أهــم طموحات الشعر الحديث إطلاق الكلمة - الــدّال - مــن أســرها وتحريرها من أصلها الوضعي وثباتها السابق. فإن هذا لا يبلغ عندنا مــرحلة (الوصــول بها - الكلمة - إلى درجة اللا معنى - الصّفر - بحيث يتحول إلى إشارة حــرّة مــشحونة بالــدلالات الغائبة والدلالات اللا نهائية).

إن هذا الإفراغ للدلالات الذي يمارسه أدونــيس لا يفــتح الكلمــة على ضروب من المعنــى مختلفة نصل حد اللا معنى، مما يجعل الــنص ضرباً من الطلاسم التي لا تكشف عن حجــبها إلاّ بأشكال من التنجيم مختلفة، بل إن عملــية الخلق هذه تستند إلى أرضية تحكمها، ورؤيــة تــتحكم في فعل الكتابة عند أدونيس، وتجعــل الــنص بمــثابة بــناء رياضي محكم يقــود بعــضه إلى بعض. فما هي إذاً الأرضية التــي تحكــم فعل الكتابة عند أدونيس. ووفق أي رؤيــة يقــع خلــق مدلولات جديدة لدوال معلومة؟

تحــتل الأسطورة في هذا الإطار حجر الــزاوية التــي يبنــي علــيه أدونيس معجمه الجديــد، وتمثل الأرضية التي ينطلق منها في تعبئة دواله، والشحنة التي تختفي ثاوية وراء المدلولات المستحدثة. فالنبش في الكلمات التي ســيتحدث أدونــيس دلالاتهــا يُسفر عن القاع الأســطوري الذي تقوم عليه. إن هذه العملية التــي يقــوم بهــا أدونــيس تسير وفق تمشٍ مخصوص يتمثل في فك عقد الأسطورة ونشر حــباتها فــي أرجاء القصيدة. فيضحي التعبير عن الأسطورة وإعلان حضورها لا عبر تجليها لفظاً بل عبر الأسطوري الذي ينتشر في أنحاء الــنص، والذي تحمله الكلمات، وتصبح الكلمة بــذلك لا تعبيراً عن مدلولها المتعارف عليه بل هــي تعبير عن حضور للأسطورة في النص، لتفرغ الكلمة من دلالاتها المعجمية وتعبر عن معاني الأسطورة التي اقتطعت منها.

ويــشير المؤلــف إلى أن هذه العملية هي ما يقصده بأثر الأسطورة في الكلمة، وهذا اثــر له العديد من المستويات ونتائج مختلفة، فالأســطورة منفردة يمكن أن تؤثر في الكلمة وتــؤدي إلى نتائج مخصوصة. ولكن الأساطير تتفاعل فيما بينها في المدونة الأدونيسية وفي تفاعلهــا تؤثــر فــي الكلمة وتؤدي إلى نتائج أخــرى. وأســاطير أدونيس المهيمنة تبين لنا أنها تجمعها أسطورة جامعة هي بدورها تؤثر في الكلمة الأدونيسية.

لذلك قسّم المؤلف موضوعه الرئيسي إلى أربعة مباحث:

١- أثر الأسطورة منفردة في الكلمة.

٢- أثــر الأسطورة متفاعلة مع غيرها في الكلمة.

٣- أثر الأسطورة الجامعة في الكلمة.
٤- نتائج أثر الأسطورة في الكلمة.

هذه الضروب من تأثير الأسطورة في الكلمة تظهر كأوضح ما يكون في قصيدة (البعث والرماد) وهي من أوائل شعر أدونيس، لذلك سيكون المنطلق منها لبيان أثر الأسطورة (تموز، والفينيق) منفردتين في الكلمة في مستوى أول ثم متفاعلتين في مستوى ثان. لذلك لا بد من تمهيد يبين فيه أهمية هذه القصيدة ودورها.

(البعث والرماد) قصيدة من أربع أناشيد معنونة (الحلم، نشيد الغربة، رماد عائشة، ترتيلة البعث) منشورة في ديوان (أوراق في الريح) وكتبت عام ١٩٥٧، ولتاريخ كتابتها معانيه التي سبق الإلماع إليها، فالقصيدة كتبت ضمن موجة عامة سادت الشعر العربي المعاصر وجعلته يلجأ إلى معين الأسطورة يستوحي دلالتها ويستجلي رمزيتها للتعبير عن هواجسه الفنية والإيديولوجية. لذلك فإن هذه القصيدة هي مرحلة نضج فني في شعر أدونيس. وهي في آن نقطة تحول أساسية في مساره الشعري وهي القصيدة الأم - كما يبدو لنا - التي يتجلى فيها أثر الأسطورة في اللغة في مختلف مستوياتها، وهي إن صح التعبير (الإنفجار الكبير) الذي سيحدث تحولاً فيما بعد من أعمال أدونيس. وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

- لأول مرة تحضر في شعر أدونيس الأسطورتان المهيمنتان في إبداعه الشعري - أسطورة الفينيق وأسطورة تموز - أين تم توظيف أسطورة الفينيق لأول مرة في (نشيد الغربة) حيث ذكرت ست مرات. ومرتين في (رماد عائشة) بينما استحوذت (ترتيلة البعث) على النصيب الأوفر إذ تواتر ذكر الأسطورة أربعاً وعشرين مرة و (ترتيلة البعث) تكتسي أهمية بالغة في (البعث والرماد)، فناهيك عن الحضور الأوفر لأسطورة الفينيق فيها فهي ستشهد أول حضور للأسطورة المهيمنة الثانية (تموز) حيث تواترت خمس مرات.

- (البعث والرماد) وخاصة منها النشيد الرابع (ترتيلة البعث) تعتبر المحضن الذي تلتقي فيه أسطورتا أدونيس المهيمنتان (تموز والفينيق) وفي تفاعلهما تنتج تأثيرات هامة في اللغة نتبينها لاحقاً.

- أهم ظاهرة في (البعث والرماد) هي حضور الأسطورة والأسطوري في آن. وهذا ما يبين بجلاء عن العملية التي يقوم بها أدونيس حين يفتت الأسطورة وال- مجموع أسطوريماتها ويبثها في النص. فيصبح الأسطوري معلناً عن حضور الأسطورة رغم غيابها لفظاً. لذلك تعتبر قصيدة (البعث والرماد) خير مثال لبيان أثر الأسطورة على مستوى الكلمة. ولهذا السبب جعلها الكاتب منطلقاً لبيان أثر أسطورتي الفينيق وتموز منفردتين في الكلمة ثم أثرهما متفاعلتين فيها ثم ننفتح بعد ذلك على بقية أشعار الشاعر.

فإذا نظرنا إلى الأسطوريات الأساسية للفينيق (الطائر يولد من رماده طائر آخر) نجدها منسابة في (البعث والرماد) بشكل يجعلها تعلن عن حضور لها عن الأسطورة نفسها. فاسطوريم (الطائر) يحضر في القصيدة معلناً بحضوره عن حضور أسطورة الفينيق:

أحلم أن يدي حجرة
آتية على جناح طائر
بعلبك مذبح
يقال فيه طائر موله بموته
يا طيري الوديع كالتعب

فالطائر أو الطير في سياق القول الأدونيسي يفارق دلالته المعودة التي تقرها المعاجم وتركب الكلمة معنى جديداً من أسطورة الفينيق يمتح هذا الطائر المولّه بموته ما هو إلاَّ الفينيق المحترق ذاتياً، الناهض من رماده.

ولكن (الطائر) ليست الكلمة الوحيدة المعبرة عن حضور الأسطورة بل هي تستدعي عبر علاقتي المجاز المرسل والاستعارة المكنية خاصة مجموعة من الكلمات التي تعبر عن حضور الطائر وحضور الفينيق.

فالطائر يستدعي مثلاً الجناح عبر علاقة المجاز المرسل فيعبر بالجناح عن حضر الطائر وبالطائر عن الفينيق:

- أحلم أن يدي جمرة
آنية على جناح طائر
وحينما يستيقظ الصباح
يطلع، من أول جناح
- وهاله أجنحة بعدد الزهور في بلادنا
- علا أحسن هو عنا له - فمات - مات باسكاً جناحه، محتضناً حتى الذي مّرده
- أرى إلى جناحك، أنشق، علا، هوى
- خلني لمرة أخيرة ألامس التراب في جناحك الرميم"

ويستدعي الجناح عبر علاقة المجاز المرسل (الريشة) فيعتبر عن الجناح باستعمال الريشة، وعن الفينيق باستعمال الجناح، أو في شكل من التعدية يعبر عن الطائر بالريش فتصبح العلاقة المجازية علاقة جزء الجزء:

فينيق، يا فينيق
يا طائر الحنين والحريق
يا ريشة
ساحبة وراءها الظلام والبريق

وقد ترد الريشة جمعاً:

"تحرفنا، تربطنا بريشك المرمد
لنهتدي"

فإذا كان يمكن التعبير عن الفينيق بذكر الطائر وعن الطائر بذكر الجناح وعن الجناح بذكر الريش وعن الريش بالزغب، فإنه يمكن تجاوز هذا السلم التدريجي، وذلك بتجاوز الوسائط وصولاً إلى الكل المقصود، فيعبر الجناح عن الفينيق مباشرة. وكذلك الريش والزغب دون المرور عبر وساطة الجناح والطائر. فللمرور من الزغب إلى الفينيق يجب المرور عبر طبقات دلالية متراكبة، وعبر هذه العملية تنزاح هذه الكلمات عن مألوف معناها وتهجر معانيها المعجمية لتعبر عن معان جديدة في الأسطورة مرتجعها أنها المحرق الذي تدور في فلكه جميع هذه الكلمات، ومهما ابتعدت المسافة وكثرت الوسائط فهي مرتدة إلى منبعها الأسطوري.